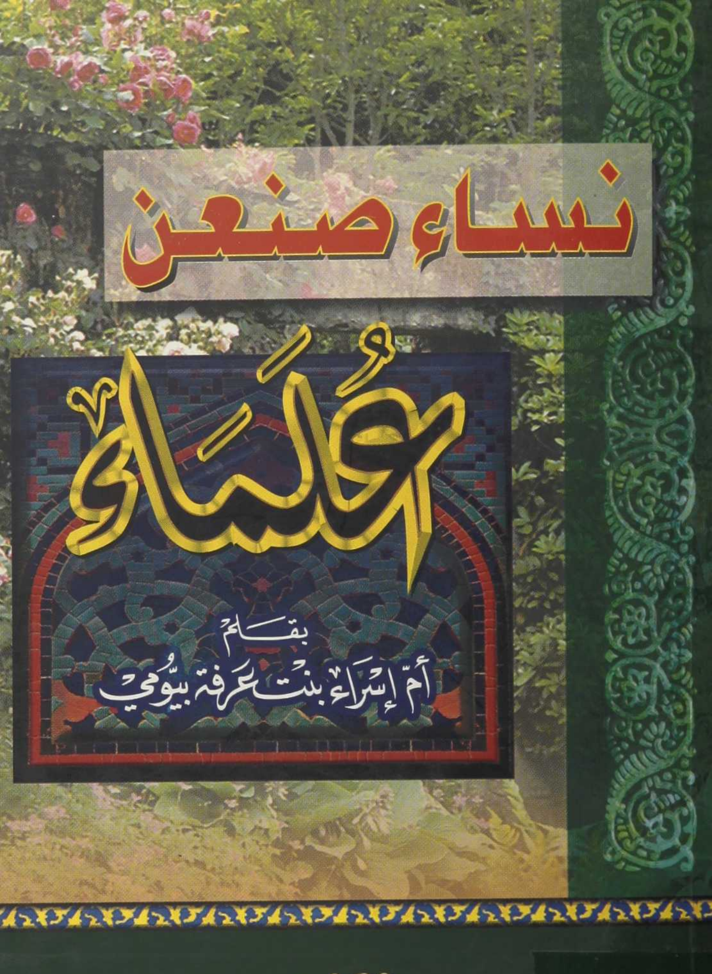


دار المعرفة
بيروت - لبنان

نساءٌ صَنَعْنَ عُلَماءْ

نساء صنعن علماء

بقلم
أم إسراء بنت عرفة بيومي

دار المعرفة
بيروت ـ لبنان

الطبعة الاولى : 1425 هـ 2004 م
ISBN 9953-429-61-8

دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع

DAR EL-MAREFAH
Publishing & Distributing

جسر المطار - شارع البرجاوي - ص ب:٧٨٧٦ ،هاتف: ٨٣٤٣٠١ - ٨٥٨٨٢٠ ، فاكس ٨٣٥٦١٤، بيروت - لبنان
Airport Square, P.O.Box :7876,Tel : 834301 , 858820, Fax : 835614 , Beirut - Lebanon
http: // www.marefah.com/ E.mail: info@marefah.com

المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل الله ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فالحمد لله الذي خلق الإنسان من عدم وهداه وعلمه بالقلم وأرشده إلى ما لم يكن يعلم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للأمم نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبعه من الأمم.

لقد وثب المسلمون ـ في ظل الإسلام بمعناه الصافي ـ وثبة عظيمة في قرن ونصف قرن ملأوا بها الأرض عزة ونوراً وعلماً وقوة وسيادة وحملوا راية الإسلام عالية خفاقة في كل بقاع الأرض ففي أي المدارس درج هؤلاء المسلمون؟ وما هي القوة الدافعة لتلك الوثبة العظيمة التي أخرجت لنا قمم شامخة في شتى المجالات.

لقد درج هؤلاء المسلمون في بيوت مسلمة فاضلة عرفت معنى الإسلام وعملت به وتعلمته وعلَّمته لصغارها، فصار الصغار علماء نشروا نور العلم في شتى بقاع الأرض ومغاربها، وهم ليسوا علماء فقط بل علماء عاملون بما علموا ظهرت في سيرتهم صورة الإسلام الناصعة التي لا نراها بكثرة هذه الأيام بل نجدها صورة مشوهة، فكم شوه كثير من المسلمين اليوم بسلوكهم وتصرفاتهم من صورة الإسلام الناصعة الصافية، وإننا إذا ما بحثنا عنها في صفوف كثير من العلماء على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم فقلما نجدها عندهم صحيحة كاملة أو صافية نقية، بل نراها جسماً بلا روح أو روحاً ضعيفة لا تقوى على حمل معاني الإسلام إلى غيرها، وإذا ما فتشنا عنها في صفوف كثير من الدعاة العاملين وجدتها فكرة نظرية أكثر منها حركة وسلوكاً لا تتجاوز القول ولا تؤثر

في السلوك، لهذا كله أصبحت صورة الإسلام هذه الأيام في قلوب أبنائه غامضة أو مشوهة ناقصة وأصبحت الصورة الناصعة حبيسة الصفحات وفي طيات المجلدات، ولذلك كله أردت أن ألقي الضوء على هذه الصفحات ليظهر من خلالها نور العلماء العاملين الذين تربوا في ظل الإسلام علماً وعملاً فهم كما قال رسول الله ﷺ كالأرض الطيبة قال النبي ﷺ: **«مثل ما بعثني الله به من الهُدى والعلم كمثل الغيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قَبِلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادِب أَمْسَكَت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان[*] لا تمسك ماء ولا تَنْبُت كلأ فذلك مَثَلُ من فَقِه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فَعَلِمَ وعَلَّم ومَثْل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هُدى الله الذي أرسلتُ به»**[1].

جاء في شرح الحديث: «إن الفقهاء وأولو الفهم كمثل البقاع التي قبلت الماء فأنبتت الكلأ لأنهم عَلِمُوا وفَهِموا وفَرَّعوا وعَلَّموا، وغاية الناقلين من المحدثين الذين لم يُرزقوا الفقه والفهم أنهم كمثل الأجادب التي حَفِظَت الماء فانتفع بما عندهم، وأما الذين سمعوا ولم يتعلموا ولم يحفظوا فهم العوام الجهلة»[2].

(*) قيعان: جمع قاع وهي الأرض التي لا نبات بها.
(١) البخاري (٧٩) ومسلم (٢٢٨٢) ك الفضائل عن أبي موسى رضي الله عنه.
(٢) مختصر منهاج القاصدين ص١٨.

وهكذا أردت أن نقطف بعض الثمار من تلك الأرض الطيبة، نرى في كل ثمرة عالم رباني ملأ الأرض بعلمه نوراً وهدى ولكنه ليس أي عالم وإنما هو عالم صنعته المرأة المسلمة، تلك المرأة التي أقامها الله على نشئه واستخلفها على صنائعه وائتمنها على دعاة حقه، فكانت أقوم خُلفائِه بواجبه وأنهضهم بالفادح من المسؤولية تلك المسؤولية التي تتمثل في تربية هذا الجيل الفريد الذي صنعته نساء مسلمات.

فنحن إذا قلبنا صفحات تاريخ الإسلام عبر عصوره المختلفة فلا نكاد نقف على عظيم ممن زلت لهم النواصي، أو عالماً استنارت بعلمه القلوب والعقول إلا وينزع بعرقه وخُلُقه إلى أُمٍّ عظيمة صنعت من وليدها رجلاً عالماً ليكون لها بعلمه وصلاحه امتداداً لعمرها القصير عملاً بقوله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة أشياء، صدقه جارية أو علم يُنتفعُ به بعده أو ولد صالح يدعو له**»[1] فلقد غَرَس الإسلام في نفس المرأة المسلمة عبر العصور المختلفة التطلع للآخرة، وأن تجعل من الدنيا مزرعةً لها فتجتهد في تربية صغارها تربية إسلامية تجعلهم جنوداً يحملون الإسلام في قلوبهم وينشرون نوره في القلوب والعقول. فالعلم كالماء فيه حياة القلوب، وبالعلم ينال الناس الخير والحياة والنور كما سبق في حديث النبي ﷺ، ولقد صنعت المرأة المسلمة أمّاً

(١) مسلم (١٦٣١) وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٨) والترمذي (١٣٧٦).

وأختاً وزوجة علماء عاملين تعلو بذكر سيرتهم الهمة ويزداد العزم على العودة بالأمة الإسلامية إلى مكانتها القيادية عَبْر العصور، في كل مجالات الحياة وخاصة مجال العلم الرباني الذي يُخرج الله بنوره البشر من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراطه المستقيم.

فهؤلاء النساء اللاتي صنعن أمثال البخاري والشافعي لم يذكرهن التاريخ بأسمائهن في كل المصادر التي بين أيدينا، ولكن ظهرت شخصياتهن واضحة جليّة في شخصية أولادهن العلماء الذين كانت لهم تلك النساء قوة دافعة لطلب العلم والتضحية في سبيل نصرة الإسلام ونشر نوره عبر الآفاق، وعبر هذه الرسالة نجد الأم المسلمة تدفع بابنها إلى حلقات العلم دفعاً وكأنها ساحة جهاد، ونجدها تقول له كلمات خالدة سجَّلها لنا التاريخ عبر صفحاته، فمع هذه الكلمات المضيئة يظهر دور الأم المسلمة في إعلاء همة الشباب لحمل راية الإسلام وإظهار صورته الشفافة النقية من خلال سيرة العلماء العطرة التي تفوح بنبض الإسلام وعطره.

ولهذا فسوف أتناول شخصيات العلماء اللاتي صنعتهم النساء بشيء من التفصيل، لعلي أساهم في رفع همة الشباب وأوجه أخواتي المسلمات إلى هذه الصناعة ـ صناعة العلماء ـ الذين هم ورثة الأنبياء. ولن ألتزم في رسالتي بالترتيب التاريخي في عرضي لسيرة العلماء الربانيين بل نسير مع كل شخصية تظهر لنا فيها دور المرأة المسلمة بصورة قوية في دفع العالم إلى طلب

العلم، لنُظهِر بذلك دور المرأة المسلمة في صناعة العلماء، فالأم المسلمة كما صنعت أبطالاً في ساحات الجهاد، صنعت أيضاً علماءً في ساحات بيوت الرحمن وفي ساحات العلم الذي يُعلى من شأن صاحبه، ويرفع ذكره في بقاع الأرض، فيصير حامل العلم إماماً للهدى تُسطّر سيرته بمداد من نور عبر صفحات التاريخ، ويصير المرء بعلمه قمة شامخة يرنو إليها كل من يبحث عن القدوة الحسنة وصدق من قال: [البسيط]

والعلم زينٌ وتشريفٌ لصاحبه أ
أتت إلينا بذا الأنباء والكتب
والعلم يرفع أقواماً بلا حسب
فكيف من كان ذا علم له حسب
فاطلب بعلمك وجه الله محتسباً
فما سوى العلم فهو اللهو واللعب

وكما كان من بين هؤلاء من رفع العلم شأنه، فسوف تقف في هذا الكتاب مع النساء العالمات اللاتي صنعت العلماء بتدريسهم العلم وروايتهم الأحاديث النبوية التي أحْيَوْ بها القلوب، ونشروا بها سنة المصطفى ﷺ، فكنّ معلمات للخير، صانعات للعلماء. فمع العلماء الذين صنعتهم نساء، ومع النساء اللاتي صنعن علماء نعيش عبر تلك الصفحات مع تلك الكوكبة لتعود لساحة الإسلام أمجاده، ولنحث الشباب والشابات على طلب العلم الذي هو خير كنز وخير ما يجمعه المرء في عمره.

وصدق من قال: [الطويل]

العلم زينٌ كنزٌ لا تفاد له
نعم القرين إذا ما عاقلاً صحبا
قد يجمع المرء مالاً ثم يُسلبه
عما قليل فيلق الذل والحربا
وجامع العلم مغبوط به أبداً
فلا يحاذر فوتاً لا ولا هربا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه
لا تعدلن به دراً ولا ذهباً

فهيا معي أختي المسلمة إلى صانعات العلماء تسير مع سيرتهن وسيرة العلماء. فيها الحياة للقلوب وفيها اليقظة وعلو الهمة وفيها النور الذي يشع من أمهات الكتب. وسوف نعيش مع هذا النور عبر كتابنا «نساء صنعن علماء» لعل الله أن يمنحنا همة عالياً للنيل من هذا النور:

لو أن العلم مُثِّل كان نوراً
يضاهي الشمس أو يحكى النهارا
لذاك الجهل أظلم جانباه
ونور العلم أشرق واستنارا[١]

فمع العلم والعلماء ومع خير النساء «نساء صنعن علماء».

أختكم: أم إسراء وسارة وأسماء وسلمى

---

(١) الأبيات من بحر الوافر.

فضل العلم والعلماء

لقد جُبلت النفس البشرية على السّعي للشيء الذي تعرف فضله وقيمته، ولذلك أبدأ رسالتي بفضل العلم وفضل العلماء.

فالعلم أشرفُ ما رغبَ فيه راغب، وأفضلُ ما طُلِبَ وَجَدَّ فيه الطالب، وأنفعُ ما كسبه واقتناهُ الكاسب، وقد أعلى اللَّهُ ﷻ من شأن العلم والعلماء فقال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

قال الحافظ في الفتح: «يرفع اللَّهُ المؤمن العالم على المؤمن غير العالم، ورفعه درجات تدل على الفضل، إذ المراد به كثرةُ الثواب، وبها تُرفع الدرجات ورفعتها تشملُ المعنوية في الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصيت، والحِسِّيَّة في الآخرة بعلو المنزلة في الجنة»(١).

وقال تعالى في فضل العلم والعلماء: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

---

(١) فتح الباري أول كتاب العلم (١/ ١٤١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

قال الحافظ: «وفي هذا القول أكبر دلالة على فضل العلم لأن الله تعالى لم يأمر نبيه بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم، والمراد بالعلم العلمُ الشرعيّ الذي يفيدُ معرفة ما يجب على المكلَّف من أمرِ دينه في عباداته ومعاملاته والعلمُ باللَّهِ وصفاتِه وما يجبُ له من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص»(١).

وكما وجه الله تعالى نبيَّه لطلب الزيادة من العلم، فقد جعل أول توجيهٍ رباني للأمة المحمدية بالقراءة فقد كانت أول الآيات التي نزلت على النبي ﷺ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١ ـ ٥] فمن إكرام الله للإنسان أن علَّمه ومنحهُ العلم الذي به يخرجِ من الظلمات إلى النور، ويعرفُ كيفَ يعبدُ ربّه وكيفَ يَصلُ إلى مرضاته وجنته، وقد جاء في السنة العديدَ من الأحاديث التي تبينُ فضل العلم والعلماء فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن العلماءَ ورثةُ الأنبياء وَرَّثُوا العلم من أخذهُ أخذَ بحظٍ وافرٍ ومن سلك طريقاً يطلبُ به علماً سَهَّل الله له طريقاً إلى الجنة**»(٢).

---

(١) فتح الباري: (١/ ١٤١).

(٢) من عند قوله: إن العلماء.. إلى قوله: وافر طرفُ من حديث =

جاء في الفتح في شرحه: «فيه بشارة بتسهيل العلم على طالبه، لأن طلبه من الطرق الموصلة إلى الجنة، وبأن الله يوفقه للأعمال الصالحة الموصلة إلى الجنة[١].

وجاء في فضل العلم «**من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»[٢].

وعند أبي هريرةﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «**إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى ومن والاه أو عالماً أو متعلماً**»[٣].

= أخرجه أبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) وابن ماجه (٢٢٣) وابن حبان (١/ ٨٨) وأحمد (٥/ ١٩٦) من حديث أبي الدرداء. وقد أورد البخاري بعضه في صحيحه في كتاب العلم باب العلم قبل القول والعمل فقال: وإن العلماء هم ورثة الأنبياء ورثوا العلم من أخذه أخذ بحظ وافر ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة» قال الحافظ في الفتح (١/ ١٦٠) حسّنه حمزة الكناني وضعفه غيره بالاضطراب في سنده. لكن له شواهد يتقوى بها ولم يفصح المصنف بكونه حديثاً فلهذا لا يعد في تعاليقه لكن إيراده له في الترجمة يشعر بأن له أصلاً ا هـ. ومن عند قول: هو من سلك طريقاً أخرج هذه الجملة مسلم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة. ولتمام شواهد انظر المسند جزء ٣٦ ص٤٦ ـ ٤٧.

(١) فتح الباري (١/ ١٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧١، ٣١١٦، ٣٦٤١) ومسلم (١٠٣٧) كتاب الزكاة.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤١١٢) والترمذي (٤/ ٢٣٢٢) وحسّنه الألباني =

وعن أبي أمامةﷺ، أن رسول اللهﷺ قال: «**فضلُ العالم على العابد كفضلي على أدناكم**» ثم قال رسول اللهﷺ: «**إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في حُجرها وحتى الحُوت ليُصلون على معلمي الناس الخير**»(١).

وعن أبي الدرداءﷺ قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «**من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب**».

قال الخطابي في معنى وضع الملائكة أجنحتها لطالب العلم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه بسط الأجنحة.

الثاني: أنه بمعنى التواضعَ تعظيماً لطالب العلم.

الثالث: أن المراد به النزول عند مجالس العلم وترك الطيران(٢).

ويكفي أهل العلم فضلاً ما ورد فيهم من القرآن الذي فقد

= صحيح الجامع الصغير (٣٤٠٨).

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٦٨٥) وصححه الألباني (المشكاة/ ٢١٣).

(٢) مختصر منهاج القاصدين ص١٧ وانظر ص٧، ومسند أحمد (٥/ ١٩٦).

قُرِنَ بينهم فيه وبين الملائكة قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨] فقد قرن الله بين الملائكة وبين أهل العلم، مما يدل على أن شهادة أهل العلم لها من الفضل الكثير، لأنهم أهل علم وبعلمهم يُعرف الله ويُعبد ﷻ.

كما دعى النبي ﷺ لمن يُعلِّم الناس العلم وينشر فيهم الخير فقال: «**نضر الله امرأ سمع مِنا شيئاً فبلَّغه كما سمعه فرب مُبلغٍ أوعى من سامع**»[(١)].

وصدق من قال: [البسيط]

مـا الـفـضـلُ إلا لأهـلِ الـعـلـم إنـهـمُ
على الـهـدى لـمـن اسـتـهـدى أدلاّءُ
وقَـدْر كـلِّ امـرىءٍ مـا كـانَ يُـحْـسِـنُـهُ
والـجـاهـلـونَ لِأَهْـلِ الـعـلـمِ أعـداءُ
فَـفُـز بـعـلـمِ تَـعِـشْ حـيَّـاً بِـهِ أبـداً
الـنـاسُ مَـوْتَـى وأهـلُ الـعِـلْـمِ أحـيـاءُ[(٢)]

ولقد أوصى الإمام علي رضي الله عنه كُميل بن زياد فقال: «يا كُميل بن زياد إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها، فاحفظ عني ما أقول لك: الناس ثلاثة: فعالم رباني وعالم متعلم على سبيل نجاه، وهمج رِعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم

(١) الترمذي (٥/ ٢٦٥٧) وصححه الألباني (المشكاة/ ٢٣٠).
(٢) إحياء علوم الدين (١/ ١٠٦).

يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تُنقصه النَّفقه والعلم يزكو على الانفاق، ومحبة العالم دين يُدان بها، وصنيعة المال تزول بزوال صاحبه، مات خُزَّان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلب موجودة»[١].

وقال الحسن رحمه الله: «لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم»[٢].

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: «تعلّموا العلم فإن تعلمه للَّه خشية، وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صَدَقة وَبَذْله لأهله قربة وهو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة»[٣].

وقال سفيان الثوري رحمه الله: «ما من عمل أفضل من طلب العلم إذا صحَّت النية»[٤].

وقال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: «طلب العلم أفضل من الصلاة النافلة»[٥].

(١) الوصايا الخالدة ص١٠٢.
(٢) مختصر منهاج القاصدين ص١٨.
(٣) من وصايا الرسول ﷺ، لطه العفيفي.
(٤) جامع بيان العلم (١/ ٣١).
(٥) المصدر السابق (١/ ٣١).

وقال كعب رحمه الله: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: «أن تعلّم يا موسى الخير وعلمه للناس، فإني منور لمعلِّم الخير ومتعلِّمه قبورهم حتى لا يستوحشوا بمكانهم»[1].

وصدق من قال: [الطويل]

تعلَّم ففي العلم الشريف فوائدُ
يحنُّ لها القلبُ السليمُ الموفقُ
فمنهنَّ رضوان الإله وجنةُ
وفوزٌ وَعِزٌّ دائمٌ متحققُ
وعن زُمرةِ الجُهال إن كنت صادقاً
بعلمك تنجو يا أُخيَ وتسبقُ
فكن طالباً للعلم إن كنت حازماً
وإياكَ إن رُمتَ الهُدى تتوقفُ
ففي العلم ما تهواه من كل مطلب
وطالبه بالنور والحق يُشرق
حقاً ففي العلم السعادة والشرف.

عن أبي الدرداء قال: «يرزق الله العلم السعداء ويحرمه الأشقياء». وصدق من قال:

إنَّما العِلْمُ مِنْحَة
ليسَ في ذَا مُنازعْ

(١) مختصر منهاج القاصدين.

هُـــوَ لِـــلـــنَّـــفـــسِ لَـــذَّة
وَهْـــوَ لِـــلْـــقَـــدرِ رَافِـــعْ
يَـــعْـــرِفُ الـــنَّـــاســـي رَبَّـــه
وَهْـــوَ مَـــيـــتٌ وَشَـــاسِـــعْ
فَـــضْـــلُ الـــنَّـــاس كُـــلَّـــهـــم
فَـــاضِـــلٌ فِـــيـــه بَـــارِعْ

وعن عبد الله بن المبارك أنه قال: «خُيِّر سليمان بن داود بين الملك والعلم فاختار العلم، فآتاه الله الملك والعلم معه باختياره العلم»(1).

وعن عبد الرزاق قال: «سمعت سفيان يقول لرجل من العرب: ويحكم اطلبوا العلم فإني أخاف أن يخرج العلم من عندكم فيصير إلى غيركم فتذلون. اطلبوا العلم فإنه شرف في الدنيا وشرف في الآخرة»(2).

قال الأحنف: «كاد العلماء أن يكونوا أرباباً، وكل عز لم يؤكد بعلم فإلى ذلٍ ما يصير».

ويروى عن أبي هريرة أنه قال: «لأن أجلس ساعة فأفقه من ديني أحب إليَّ من أن أحيى ليلة إلى الصباح»(3).

وقال بعض العلماء: «من شرف العلم وفضله أن كل من نسب إليه فرح بذلك وإن لم يكن من أهله، وكل من دفع عنه

(1) جامع بيان العلم وفضله (1/ 65).
(2) جامع بيان العلم وفضله (1/ 68).
(3) سنن الدارقطني (3/ 79) شعب الإيمان (2/ 266).

ونسب إلى الجهل عزَّ عليه ونال ذلك من نفسه وإن كان جاهلاً».

وروي عن عمر بن الخطاب قال: «أيها الناس عليكم بطلب العلم فإن لله رداء محبة، فمن طلب باباً من العلم رداه الله بردائه ذلك، فإن ذنبا استعتبه وإن أذنب ذنباً استعتبه لئلا يسلبه رداءه ذلك وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت»[(١)].

ويُقال: «ثلاثة لا بد لصاحبها أن يسود: الفقه والأمانة والأدب».

وقيل للقمان الحكيم: «أي الناس أفضل؟ قال مؤمن عالم إن ابتغى عنده الخير وجد».

وقال الحجاج لخالد بن صفوان: من سيد أهل البصرة؟ فقال له: الحسن، فقال: وكيف ذلك وهو مولى؟ فقال: احتاج الناس إليه في دينهم واستغنى عنهم في دنياهم، وما رأيت أحداً من أشراف البصرة إلا وهو يروم الوصول إلى حلقته ليستمع قوله، ويكتب علمه. فقال الحجاج: هذا والله السؤدد، والعلماء فُضلوا على الشهداء. ومما جاء في ذلك عن أبان بن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ: «**يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء**»[(٢)].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (ص٧١١).
(٢) سنن ابن ماجه (٤٣١٣) والبيهقي في شعب الإيمان (٣٠٩) والطحاوي في معاني الآثار (١/ ٣٠).

وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء**»(١).

وصدق من قال: [الكامل]

أهلاً وسهلاً بالذينَ أحبهم
وأودّهم في الله ذِي الآلاءِ
أَهْلاً بقومٍ صَالحينَ ذَوي تُقَى
غُرّ الوجوهِ وزين كُلّ مُلاءِ
يَسْعَونَ فِي طلبِ الحديثِ بِعفةٍ
وتوقرٍ وسَكينةٍ وحياءِ
لَهُمُ المهابةَ والجلالةَ والنّهَى
وفضائلٌ جَلَّت عن الإحصاءِ
ومدادُ ما تجري به أَقْلَامُهُمْ
أزكَى وأَفضلُ من دمِ الشهداءِ
يا طالبي علمِ النبيّ محمدٍ
ما أنتمُ وَسِوَاكم بِسَوَاءِ

وهكذا يُعلى العلم من شأن صاحبه وينال به الشرف والتقديم في الدنيا والآخرة، وينال الفضل في كل أحواله.

وقال الغزالي رحمه الله في أول المستصفى: «العلم أربح المكاسب والمتاجر، وأشرف المعالي والمفاخر، وأكرم

(١) معاني الآثار (١/ ٣٦) والدر المنثور (٣/ ٧٢) وشرح السنة (٣/ ٣١٣) وكنز الخفا (١/ ٥٦١، ٢/ ٢١٠).

المحامد والمآثر، وأحمد الموارد والمصادر، فشرفت بإثباته الأقلام والمحابر، وتزينت بأسماعه المحاريب والمنابر، وتحلت برقومه الأوراق والدفاتر، وتقدم بشرفه الأصاغر على الأكابر، واستضاءت ببهائه الأسرار والضمائر، وتنورت بأنواره القلوب والبصائر، واستُحقر في ضيائه ضيّاء الشمس الباهر على الفلك الدائر».

وصدق من قال: [البسيط]

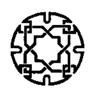
العلمُ يَجْلو العمى عَنْ قَلْبِ صَاحِبهِ
كَمَا يَجلي سَوادُ الظلمةِ العمرُ
والعلمُ يُحيى قلوب الحامِلينَ لهُ
كالأرضِ تُحيى إذا ما مسها المطرُ

فعليكِ يا أختي المسلمة بالعلم فإنه الموصل إلى كل خير، وهو الدافع لكل ضير، وهو الذي شرّفه الله في الجملة وفضَّله وشرَّف أهله في كل ملة. واعلمي أنه خلق نفيس لا يُنال بالهوينة والدعة وإنما ينال بجد واجتهاد ومكابدة، فإن نيل العظيم لا يدرك إلا بأمر عظيم وعلى قدر الراحة يكون التعب.

وصدق من قال: [البسيط]

فاشددْ يَديكَ بحبلِ الدرسِ مُجتهداً
وإنْ أَمَضَّك طول الجوع والسهرِ
إنَّ التجارَ إذا راحوا وقد ربحوا
أنساهمُ الربح ما عناهم السفر

فلتكن تجارتك يا أختي المسلمة مع الله بصناعة العلماء، وطلب العلم النافع وتعليمه، ليكتب اسمك في الأرض وفي السماء في خير النساء «نساء صنعن علماء».



علماء صنعتهم نساء

تمهيد:

إن العلم ومحبته شجرة تُزرع في القلب فتثمر كل خلق جميل وعمل صالح وثناء ووصف محمود، ولقد زرعت المرأة المسلمة أماً وأختاً وزوجة عبر حياة الأمة الإسلامية تلك المحبة ـ محبة العلم ـ في نفوس فلذات الأكباد وشباب الإسلام فصنعن بذلك العمل وبتلك المحبة علماء خلّد التاريخ أسماءهم وملأ علمهم بقاع الأرض نوراً وخيراً. وقد وقفت في أثناء بحثي على أئمة في العلم في عصور مختلفة وحتى من عصرنا، كان للمرأة المسلمة الدور الأول والأثر الفعال في صنعهم. ولقد وجدت أن سيرة هؤلاء العلماء جديرة بجزء كبير من كتابي لكي نشحذ بهذه السيرة همة الشباب للسير في ركاب العلماء الربانيين، وندفعهم لحب العلم وطلبه، ولكي ننظر سوياً في مسيرة هؤلاء العلماء ونتأمل كيف لعبت المرأة المسلمة دوراً في حياة كل عالم.

وسوف أبدأ هؤلاء العلماء بسيدنا أبي هريرة وهو أحد صحابة رسول الله ﷺ وكنت قد فكرت في البعد عن جيل

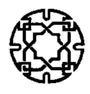
الصحابة، لأنه جيل كان له خير معلم عرفته البشرية، وكان وجود الرسول الله ﷺ بصحبتهم هو الأثر الأول في طلبهم للعلم، ولكني عندما رأيت سيرة سيدنا أبي هريرة وكيف أنه نشأ يتيماً وكفلته أمة وكيف أن محبته ومحبة أمة قد دعا بها النبي ﷺ(*) وأيضاً ـ وهذا هو السبب الأساس لإيراد سيدنا أبي هريرة بل والتطويل في عرض سيرته والثناء عليه ـ لما رأيت من يتجرأون على النيل من هذا الصحابي الجليل [قرّرت] أن أساهم في الدفاع عن هذا الصحابي الجليل الذي تجرأ عليه السفهاء في حين شهد تفضيله أولو الفضل وعلى رأسهم سيدنا محمد ﷺ. ولهذا كله أوردت سيدنا أبي هريرة في مقدمة هؤلاء العلماء الذين صنعتهم نساء، وسوف يكون تتابع الشخصيات بعد ذلك دون مراعاة للترتيب التاريخي أو تفضيل لعَلَم دون آخر فكل هؤلاء العلماء الذين سوف نورد سيرتهم بإذن الله كانوا قمماً شامخة ومصابيح مضيئة كلٌ في عصره وبلده. فكل عالم من هؤلاء العلماء سخرهم الله لنصرة الإسلام وحمل ميراث الأنبياء وتبليغه للبشر، كما سخّر لهؤلاء العلماء نساء فاضلات قامت على تربيتهم وتنشئتهم النشأة الإسلامية العلمية السليمة.

وسوف أورد بإذن الله نماذج لعلماء معاصرين قامت المرأة المسلمة بدور رائد في صناعتهم، وذلك حتى لا ينزغ في

(*) سيأتي ذلك في ترجمته.

النفس نزغ الشيطان بأن هؤلاء العلماء كانوا في القرون الفاضلة، بل لقد وجدت بفضل الله من عالمنا المعاصر علماء أعلام كان للمرأة المسلمة الأثر الفعال في طلبهم للعلم.

فهيا أختي المسلمة إلى هؤلاء العلماء من الصحابة والتابعين والمعاصرين لنتعرف سوياً على العلماء الذين صنعتهم نساء.



١ ـ سيدنا أبو هريرة(*)

هو راوية الإسلام وصاحب الرسول عليه الصلاة والسلام. هو عبد الرحمٰن بن صخر من ولد ثعلبة بن سليم الدوسي، كان اسمه في الجاهلية عبد شمس ـ وقيل غير ذلك ـ فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمٰن وأمه ميمونة بنت صخر وقيل أميمة[١].

وقد أسلم مع من أسلم من قبيلة دوس على يد سيدنا الطفيل بن عمرو الدوسي وهاجر إلى المدينة في ليالي فتح خيبر[٢].

وقد صحب سيدنا أبو هريرة رسول الله ﷺ أربع سنوات

(*) طبقات ابن سعد (٢/ ٥٢)، تذكرة الحفاظ (١/ ٣١) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٤١٨) وتهذيب التهذيب (١٢/ ٢٦٢) والبداية والنهاية (٨/ ١٠٣) حلية الأولياء (١/ ٣٧٧)، تاريخ الإسلام (٢/ ٣٣٤) الاستيعاب (٤/ ١٧٦٨) وتاريخ دمشق (٦٧/ ٢٩٥).

(١) جمهرة أنساب العرب (ص٣٥٨، ص٣٦٠)، طبقات ابن سعد (٢/ ٥٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٢٥، ٤٢٦) البداية والنهاية (٨/ ١٠٤).

بعد غزوة خيبر وكان قد زاد على الثلاثين سنة، أقام معه حتى توفى ﷺ يدور معه في بيوت نسائه يخدمه ويصلي خلفه ويحج ويغزو معه لا ينقطع عن مجالسه بل كان المسجد مقامه والرسول الله ﷺ إمامه، فعرف كثيراً من سنة رسول الله ﷺ وشاهد دقائق السنة ووعى تطبيق الشريعة، فأرسله رسول الله عليه الصلاة والسلام مع العلاء الحضرمي إلى البحرين فكان مؤذناً وإماماً، عرف رسول الله ﷺ حرصه على الحديث وحبه للعلم فكان لا يتأخر في إجابته عما يسأل ويدعو له(١).

هكذا كان سيدنا محمد ﷺ وخير معلم عرفته البشرية، هو الذي يمد سيدنا أبا هريرة بالعلم والنور، وكان سيدنا أبو هريرة شديد الحب له وقد كان يُسمع كثيراً وهو يقول: «الحمد لله الذي هدى أبا هريرة للإسلام الحمد لله الذي علَّم أبا هريرة القرآن الحمد لله الذي مَنَّ على أبي هريرة بمحمد عليه الصلاة والسلام»(٢) وعلى قلة المدة التي قضاها سيدنا أبو هريرة في صحبة الرسول ﷺ إلا أنه كان أكثر الصحابة رواية عن رسول الله ﷺ كما يقول هو عن نفسه: «ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبدالله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب»(٣).

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٣٧٩) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٣٤) بتصرف.
(٢) تاريخ ابن عساكر (٦٧/ ٣٦٤).
(٣) البخاري (١١٣) ك العلم ومسند أحمد (٢/ ٢٤٨).

وكان سيدنا أبو هريرة من أعلام الفقراء والمساكين، صبر على الفقر الشديد حتى أنه كان يلصق بطنه بالحصى من الجوع، وكان رغم فقره الشديد شديد العفاف حتى فتح الله عليه وأغناه من فضله، وكان فياضاً في غناه مبسوط الكف جواداً يحب الخير ويكرم الضيوف، لا يبخل بما في يديه وإن كان قليلاً، فلم يحمله فقره على الشح كما لم يحمله غناه بعد ذلك على البخل، ففي عسره كله كان ضيف الإسلام وضيف الرسول عليه الصلاة والسلام وصحبه، حتى إذا ما يسر الله عليه لم يجعله غناه قاسي القلب متحجر الفؤاد بل كان علماً من أعلام الجود والكرم وهو غني، كما كان علماً من أعلام الفقراء.

قال الطفاوي: «نزلت على أبي هريرة بالمدينة ستة أشهر فلم أر من أصحاب رسول الله ﷺ أشد تشميراً ولا أقوم على ضيف من أبي هريرة»(١).

وكان لسيدنا أبي هريرة نصيباً من الجهاد في سبيل الله فقد شهد مع رسول الله ﷺ كل غزواته بعد فتح خيبر، كما شارك في حروب الردة بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام والدليل ما جاء عن أبي هريرة: «لما كانت الردة قال عمر لأبي بكر: تقاتلهم وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا، قال فقال أبو بكر: والله لا أفرق بين الصلاة والزكاة ولأقاتلن من

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٢٨)، تاريخ الإسلام (٢/ ٣٣٦).

فرّق بينهما، قال: [والقائل سيدنا أبو هريرة] فقاتلنا معه فرأينا ذلك رشداً»[١]. والشاهد قول سيدنا أبو هريرة «فقاتلنا معه» وهو دليل على مشاركته في حروب الردة. ويذكر لنا ابن عساكر أن أبا هريرة شهد موقعة اليرموك[٢]. وهكذا كان سيدنا أبو هريرة علماً في الجهاد كما كان علماً في العلم، بل كان وعاء من أوعية العلم يفيض بالعلم والنور في كل مكان، فقد كان يحدث عن رسول اللهﷺ في المدينة المنورة وفي مكة المكرمة، كما حدَّث في دمشق والبحرين وكان يُحدِّث حيثما حلَّ ويفتي الناس بما سمع من الرسول الكريمﷺ. ومن يتتبع حديثه يرى أنه قد جعل بيته معهداً للمسلمين يحدثهم ويكرمهم ويُدخل السرور عليهم بما أنعم الله عليه من حسن المعشر وكثرة العلم والخير، كما كان يستقبل طُلاب العلم في أرضه بالعقيق[٣].

وهكذا كان سيدنا أبو هريرة مُحباً للعلم ومحباً لحديث رسول اللهﷺ يعمل على نشره ليل نهار، ويشهد على ذلك صحابة رسول اللهﷺ الذين كانوا يحيلون السائل عليه لما

---

(١) النسائي الكبرى (٢/ ٢٨٠) رقم (٣٤٣٣) وفي الصغرى (٧/ ٧٧) ومسند أحمد (١/ ١١)، (٢/ ٤٢٣).
(٢) تاريخ دمشق (٦٧/ ٢٩٦).
(٣) ذخائر المواريث (٤/ ٢٦) حديث (٨٧٢١). كما ورد في سنن أبي داود (٢٤٤٠) قال عكرمة: كنا عند أبي هريرة في بيته وذكر الحديث.

عرفوا من علمه واتقانه وملازمته للنبي ﷺ، فعن معاوية بن أبي عباس الأنصاري أنه كان جالساً مع ابن الزبير فجاء محمد بن إياس فسأل عن رجل طلَّق ثلاثاً قبل الدخول فبعثه إلى أبي هريرة وابن عباس وكانا عند عائشة فذهب فسألهما فقال ابن عباس لأبي هريرة أفته يا أبا هريرة قد جاءتك مُعضلة فقال: «الواحدة تبينها والثلاث تحرمها»[١].

وجاء رجل إلى زيد بن ثابت فسأله عن شيء فقال له زيد: «عليك أبا هريرة فإني بينما أنا وأبو هريرة وفلان في المسجد ذات يوم ندعو الله تعالى ونذكره إذ خرج علينا النبي ﷺ حتى جلس إلينا فسكتنا فقال: عودوا إلى الذي كنتم فيه قال زيد: فدعوت أنا وصاحبي قبل أبي هريرة وجعل رسول الله ﷺ يؤمن [يقول آمين] على دعائنا، ثم دعا أبو هريرة فقال: اللهم إني أسألك ما سألك صاحباي وأسألك علماً لا يُنسى، فقال ﷺ: «آمين» فقلنا: يا رسول الله ونحن نسأل الله علماً لا يُنسى فقال: «**سبقكم بها الغلام الدوسي**»[٢].

وكما كان سيدنا أبو هريرة محباً لطلب العلم كان محباً لتعليم ذلك العلم بالحكمة والموعظة الحسنة، ويضفى إلى ذلك شيئاً من مرحه فتقبله النفوس وتطمئن له القلوب. من هذا ما رُوي عن أبي

---

(١) انظري موطأ مالك (٢/ ٥٧١) والأم للشافعي (٥/ ١٣٩) والسنن البيهقي (٧/ ٣٥٥) وانظري سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٣٧).
(٢) تهذيب التهذيب (١٢/ ٢٦٦)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٣٢) وحلية الأولياء (١/ ٣٨١) والبداية والنهاية (٨/ ١١١).

هريرة أنه مَرَّ ذات يوم بسوق المدينة ـ وقد هاله انشغال الناس في الدنيا ـ فوقف عليها فقال: يا أهل المدينة ما أعجزكم. قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث رسول الله ﷺ يقسم وأنتم ههنا ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟ قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجد، فخرجوا سراعاً ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا فقال لهم: ما لكم؟ قالوا: يا أبا هريرة فقد أتينا المسجد فدخلنا فلم نر فيه شيئاً يقسم، فقال لهم أبو هريرة: وما رأيتم في المسجد أحداً؟ قالوا: بلى رأينا قوماً يصلون وقوماً يقرؤون القرآن وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام، فقال لهم أبو هريرة: ويحكم فذاك ميراث محمد ﷺ[1].

ولقد شهد لسيدنا أبو هريرة بالعلم والفضل الكثير من أولو الفضل ويكفيه شهادة رسول الله ﷺ: عن أبي هريرة سألت رسول الله ﷺ: ماذا ردَّ إليك ربك من الشفاعة؟ فقال: «**والذي نفس محمد بيده لقد ظننت أنك أول من يسألني عن ذلك من أمتي لما رأيت من حرصك على العلم**»[2].

وفي رواية قال: «**لقد ظننت لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث**»[3].

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٤٢٩) وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٢٤) إسناده حسن.

(٢) مسند أحمد (٢/ ٣٠٧) وصححه ابن حبان (٦٤٦٦) والحاكم (١/ ١٤١).

(٣) رواه البخاري (٩٩) ك العلم.

فهنيئاً لك يا أبا هريرة هذه الشهادة النبوية التي يضع بها المصطفى على صدرك وسام الطالب للحديث والحريص عليه، فأي توثيق خير من شهادة المصطفى، وأي درجة أعلى من درجة من شهد له النبيﷺ بالحرص على طلب العلم والحديث.

ولقد كان صحابة رسول اللهﷺ من بعده يعرفون لسيدنا أبي هريرة فضله وعلمه، فلقد رأينا كيف أحال إليه ابن عباس حبر الأمة وسيدنا زيد بن ثابت وهما من أعلم علماء الأمة، وهذا يدل على فضله وعلمه. كما كان عمر بن الخطابرضي الله عنه قد نهى أبا هريرة من الإكثار عن رسول اللهﷺ كما نهى غيره لأن سياسة عمر وبعض الصحابة الإقلال من رواية الحديث لأن في الإكثار مظنة الخطأ وخوفاً من أن يُشغل الناس بالحديث عن القرآن، ومع هذا فقد سمح عمررضي الله عنه لأبي هريرة بالتحديث بعد أن عرف ورعه وتقواه.

روى الذهبي عن أبي هريرة قال: «بلغ عمر حديثي فأرسل إليَّ فقال: كنت معنا يوم كنا مع رسول اللهﷺ في بيت فلان؟ قلت: نعم وقد علمت لأي شيء سألتني، قال: ولِمَ سألتك؟ قلت: إن رسول اللهﷺ قال: «**يومئذ من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»[١] قال: أما الآن فاذهب فحدث»[٢].

---

(١) الحديث رواه البخاري عن أبي هريرة (١١٠) ك العلم.
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٣٤).

وفي رواية: «حدِّث الآن عن النبي ﷺ ما شئت»[١].

فهذا السماح من سيدنا عمر توثيقاً منه لسيدنا أبي هريرة.

وقال عبد الله بن عمر: «يا أبا هريرة كنت ألزمنا لرسول الله ﷺ وأعلمنا بحديثه»[٢].

وقيل لابن عمر: «هل تنكر مما يحدث به أبو هريرة شيئاً؟ فقال: لا ولكنه اجترأ وجَبُنَا»[٣].

وقال أبي بن كعب: «كان أبو هريرة جريئاً على النبي ﷺ يسأله عن أشياء لا نسأله عنها»[٤].

قال كعب الأحبار: «ما رأيت أحداً لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبي هريرة»[٥].

وقال أبو صالح السمان: «كان أبو هريرة من أحفظ أصحاب محمد ﷺ»[٦].

وقال الإمام الشافعي: «أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره»[٧].

(١) تاريخ دمشق (٦٧/ ٣٤٥).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٣٥)، طبقات ابن سعد (٢/ ١١٨).
(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٣٧)، تاريخ دمشق (٦٧/ ٣٤٩).
(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٥١).
(٥) الإصابة (٧/ ٢٠٥).
(٦) تذكرة الحفاظ (٢/ ٣٤)، تاريخ دمشق (٦٧/ ٣٣٩).
(٧) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٣٢).

وقال الإمام البخاري: «روى عنه ثمانمائة من أهل العلم وكان أحفظ من روى الحديث في عصره»[١].

وقال ابن عبد البر: «كان من أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ وكان يحضر ما لا يحضر سائر المهاجرين والأنصار لاشتغال المهاجرين بالتجارة والأنصار بحوائجهم»[٢].

وقال ابن الأثير: «أبو هريرة الدوسي صاحب رسول الله ﷺ وأكثرهم حديثاً عنه»[٣].

وقال عنه الحافظ الذهبي: «الإمام الفقيه المجتهد الحافظ صاحب رسول الله ﷺ أبو هريرة الدوسي اليماني سيد الحفاظ الأثبات»[٤]. وقال في موضع آخر: «أبو هريرة إليه المنتهى في حفظ ما سمعه من الرسول عليه الصلاة والسلام وأدائه بحروفه»[٥].

ويقول عنه ابن كثير: «وقد كان أبو هريرة من الصدق والحفظ والديانة والعبادة والزهادة والعمل الصالح على جانب عظيم»[٦].

---

(١) تهذيب التهذيب (١٢/ ٢٦٥)، البداية والنهاية (٨/ ١٠٣).
(٢) الاستيعاب (٤/ ١٧٧١).
(٣) أسد الغابة (٥/ ٣١٥).
(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤١٧).
(٥) المصدر السابق (٢/ ٤٤٥).
(٦) البداية والنهاية (٨/ ١١٠).

وقال أيضاً: «روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ الكثير الطيب وكان من حُفّاظ الصحابة»[١].

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «إن أبا هريرة كان أحفظ من كل من يروي الحديث في عصره ولم يأت عن أحد من الصحابة كلهم ما جاء عنه»[٢].

وقال يحيى بن أبي بكر العامري: «أبو هريرة كان عريف مساكين الصُّفة خلفاء الفقر والصبر، وكان شديد الحب لرسول الله ﷺ ملازماً له في جميع الأحوال، لا يشغله عنه دنيا ولا أهل ولا مال ولملازمته وخصوصيته الأخرى في الحفظ عن رسول الله ﷺ كان أكثر الصحابة رواية على الإطلاق وأحفظهم، وقال: «كان حافظاً متثبتاً ذكياً مفتياً صاحب صيام وقيام»[٣].

وقال المؤرخ ابن العماد الحنبلي: «كان كثير العبادة والذكر حسن الأخلاق ولي إمرة المدينة وكان حافظ الصحابة وأكثرهم رواية»[٤].

وهكذا شهد لسيدنا أبي هريرة رؤوس العلم عبر العصور المختلفة، وقد شهدوا له جميعاً بالعلم وكثرة الحديث وفضله

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ١٠٣).
(٢) تهذيب التهذيب (١٢/ ٢٦٦).
(٣) الرياض المستطابة ص٧٠.
(٤) شذرات الذهب (١/ ٦٣).

وورعه وضبطه واتقانه فقد كانت مكانته ﷺ لا تخفى على مسلم في مشارق الأرض ومغاربها، وما سقته من ثناء عليه فهو على سبيل الذكرى والرد على أهل هذا الزمان الذين نجد فيهم من يتجرأ على هذا الصحابي الجليل الذي كتب اسمه بمداد من نور في سجل العلماء المحدثين الذين ينشرون الخير أينما حلوا.

ومن أقوال سيدنا أبي هريرة الخالدة التي تحضّ على طلب العلم قوله ﷺ: «باب من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوعاً وباب نعلمه عملنا به أو لم نعمل به أحب إلينا من مائة ركعة تطوعاً»[١].

وقال أيضاً هو وسيدنا أبو ذر: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «**إذا جاء طالب العلم الموت وهو على هذه الحال مات وهو شهيد**»[٢].

وهكذا يحض العالم الرباني غيره على طلب العلم وحفظ السنة والعمل بها حتى ينال طالب العلم فضل الشهادة وأجرها بإذن الله، ولكن هذا العالم الرباني إلى من ينزع وما هي القوة الدافعة في حياته ـ غير صحبته للنبي ﷺ ـ إنها الأم المسلمة التي كان إسلامها بدعوة من المصطفى ﷺ[٣] فقد كان سيدنا

(١) تاريخ دمشق (٦٧/ ٣٧٠).
(٢) المصدر السابق.
(٣) روى ابن عساكر قصة إسلام أم أبي هريرة (٦٧/ ٣٢٥).

أبا هريرة يتيماً كما أخبر هو عن نفسه:

«نشأت يتيماً وهاجرت مسكيناً وكنت أجيراً لبسرة بنت غزوان بطعام بطني وعقبة(*) رجلي، فكنت أخدم إذا نزلوا وأحدو إذا ركبوا، فزوّجينها الله فالحمد لله الذي جعل الدين قواماً وجعل أبا هريرة إماماً»(١).

وهكذا نشأ هذا العالم الرباني يتيماً وكان شديد التعلق بأمه وكان ينزع إليها في كل شيء حتى أنه انتسب إليها، وورد ذلك حين دعاه عمر بن الخطاب ليوليه فأبى فقال: تكره العمل وقد طلب العمل من كان خيراً منك يوسف عليه السلام، فقال: يوسف نبي ابن نبي وأنا أبو هريرة بن أميمة(٢).

وهكذا تلعب الأم المسلمة دور المحرك والدافع لهذا العالم الرباني وهذا الصحابي الجليل الذي ملأ الدنيا نوراً وضياءاً ينشر حديث المصطفى ﷺ مما جعله هو وأمه أهلاً لأن يحبهم كل مؤمن ومؤمنة كما ورد ذلك في حديث إسلامها، فقد ذهب سيدنا أبو هريرة إلى رسول الله فرحاً بإسلام أمه وقال له: قد هدى الله أم أبي هريرة إلى الإسلام ثم قلت ـ أي أبي هريرة: «يا رسول الله ادع الله أن يحببني وأمي إلى

(*) العُقبة أي نوبة ركوبه.

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٥٣)، تذكرة الحفاظ (١/ ٣٢)، والبداية والنهاية (٨/ ١١٠) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٤٤٠).

(٢) تاريخ دمشق (٦٧/ ٣٧١)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٤١).

المؤمنين والمؤمنات وإلى كل مؤمن ومؤمنة» فقال: «**اللهم حبّب عُبيدك هذا وأمه إلى كل مؤمن ومؤمنة**». فليس يسمع بي مؤمن ولا مؤمنة إلا أحبني(١).

وكيف لا نحب من نقل لنا خير الكلام ـ بعد كلام الله ﷻ ـ عن خير البشر وكيف لا نحب تلك الأم التي صنعت بعزيمة ذلك العالم الرباني فاستحقت بذلك أن تخلد في سجل خاص بخير نساء في سجل «نساء صنعن علماء».

فقد أخرجت للمسلمين عالماً ربانياً نصر السنة ونقل نورها لنا عبر العصور فكان من رواة السنة وحفاظها وناصريها وكان من علماء الحق الذين لم يهتموا بزخارف الدنيا بقدر ما اهتموا بنصر السنة.

وصدق من قال في وصف علماء الحق: [الطويل]

ولا همُّهُم جَمْعُ الحُطامِ فَزَخْرفُوا
قصوراً ولا باهوا برفع بناها
ولا قصدهم ممن أبادوه بالقَنَا
وتطويقهم بالسيف بيض طَلَاها
سوى رفع أعلام الشريعةِ في الورى
وينفون عنها بدَوَاهَا

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٥٥)، تاريخ دمشق (٦٧/ ٣٢٥)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٢٨).

فما أحوجنا هذه الأيام إلى مثل ذلك العالم الذي ينصر سنة الرسولﷺ ويدعوا الناس إليها لتنصر السنة ولا تشغلنا الدنيا الفانية عن طلب العلا.

فما أحوجنا في مثل هذه الأيام إلى العلماء الربانيين لينقذ سنة المصطفى ويحفظها لنا كما حفظها سيدنا أبو هريرة:

سينقذها مِنْ بَعْد ذلك ماجدٌ
إلى مطمح العليا يرُومُ ذُراها
هُمامٌ سيجلو عارها بجُسَامِه
وينشر جهراً ما طواه عِدَاها
فتَّى قد جَنَى من كل فنٍ ثمارَهُ
وأَمَّ إلى هام العُلى فَعَلاَها
قريبٌ إلى أهل الشريعة والنقى
ويبعد عمن يَرْتَضِي بسواها[1]

فاللهم ارزقنا من ينصر سنة حبيبك المصطفى واجعلنا من النساء اللاتي يصنعن أولئك العلماء الناصرين للسنة.

(١) الأبيات من البسيط.

٢ ـ القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق(*)

هو أبو محمد القاسم بن محمد بن خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق وهو عالم وقته في المدينة.

قال عنه الذهبي: الإمام القدوة الحافظ الحجة عالم وقته بالمدينة مع سالم وعكرمة أبو محمد وأبو عبد الرحمن القرشي التيمي البكري المدني[١].

ولد في خلافة الإمام علي فروايته عن أبيه عن جده انقطاع على انقطاع، فكلٌ منهما لم يلحق أباه ورُبى القاسم في حجر عمته أم المؤمنين عائشة وتفقه منها وأكثر عنها وروى عن ابن مسعود وغيره من الصحابة[٢].

عن يحيى بن سعيد قال: «ما أدركنا أحداً بالمدينة نفضله على القاسم بن محمد»[٣].

(*) سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٣)، طبقات ابن سعد (٥/١٨٨)، صفة الصفوة (٢/ ٦٣).
(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٣).
(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ١٨٨) وسير أعلام النبلاء (٥/١٨٨).

وقال ابن سعد: «أمه أم ولد يُقال لها سودة وكان ثقة عالماً رفيعاً فقيهاً إماماً ورعاً كثير الحديث»[١].

وعن عبد الله بن الزبير قال: «ما رأيت أبا بكر ولد ولداً أشبه به من هذا الفتى»[٢].

وروى عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: «ما رأيت أحداً أعلم بالسنّة من القاسم بن محمد وكان الرجل لا يعد رجلاً حتى يعرف السنة»[٣].

وقال سفيان: «حدثنا عبد الرحمن بن القاسم وكان أفضل أهل زمانه أنه سمع أباه وكان أفضل أهل زمانه»[٤].

وروى خالد بن نزار عن ابن عيينة قال: «أعلم الناس بحديث عائشة ثلاثة القاسم وعروة وعمرة»[٥].

وقال يحيى بن معين: «يقول عبيد الله بن عمر عن القاسم عن عائشة ترجمة مشيكة بالذهب».

وعن يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: «رأيت القاسم بن محمد يصلي فجاء أعرابي فقال: أيكما أعلم أنت أم سالم،

(١) صفة الصفوة (٢/ ٦٣).
(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ١٨٨).
(٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٤) وتاريخ دمشق (٤٩/ ١٦٥).
(٤) صفة الصفوة (٢/ ٦٣) وسير أعلام النبلاء (٥/ ٥٥).
(٥) سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٥).
(٦) سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٥).

فقال سبحان الله كُلٌّ سيخبرك بما علم، فقال: أيكما أعلم، قال: سبحان الله، فأعاد فقال: ذاك سالم انطلق فسله، فقام عنه قال ابن إسحاق: كره أن يقول أنا أعلم فيكون تزكية وكره أن يقول سالم أعلم مني فيكذب وكان القاسم أعلمهما(١).

وقال ابن وهب: ذكر مالك القاسم بن محمد فقال: «كان من فقهاء هذه الأمة»(٢).

قال مصعب الزبيري: «القاسم من خيار التابعين»(٣).

وقال العجلي: «كان من خيار التابعين وفقهائهم»(٤). وقال هشام بن عمار: عن مالك قال: «أتى القاسم أمير من أمراء المدينة فسأله عن شيء فقال إن من إكرام المرء نفسه أن لا يقول إلا ما أحاط به علمه»(٥).

وعن أبي الزناد قال: «ما كان القاسم يجيب إلا في الشيء الظاهر»(٦).

وقال يحيى القطان: «فقهاء المدينة عشرة فذكر منهم القاسم»(٧).

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ١٨٩) وصفة الصفوة (٢/ ٦٤).
(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٦).
(٣) المصدر السابق.
(٤) سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٧).
(٥) تاريخ دمشق (٤٩/ ١٧٧).
(٦) سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٧)، صفة الصفوة (٢/ ٦٤).

وقال مالك: «ما حدث القاسم مئة حديث»[١].

وقال أيضاً: «كان يزيد بن عبد الملك قد ولى العهد قبل ذلك، قال: وكان القاسم قليل الحديث قليل الفتيا وكان يكون بينه وبين الرجل المداراة في الشيء فيقول له القاسم: هذا الذي تريد أن تخاصمني فيه هو لك فإن كان حقاً فهو لك فخذه ولا تحمدني فيه وإن كان لي فأنت منه في حل وهو لك»[٢].

وهكذا لم يكن يكثر من الفتيا أو الحديث وذلك لشدة ورعه رضي الله عنه وأرضاه، وقد حدَّث عنه خلق كثير منهم ابنه عبد الرحمن والشعبي ونافع العمري وسالم بن عبد الله وأبو بكر بن حزم والزهري وابن أبي مليكة وربيعة الرأي وغيرهم كثير[٣].

ومن أقواله رضي الله عنه عن عبد الله البكري قال القاسم: «قد جعل الله من الصديق البار المقبل عوضاً من ذي الرحم العاق المدبر»[٤].

وعن يحيى بن سعيد: سمعت القاسم بن محمد يقول: «لأن يعيش الرجل جاهلاً بعد أن يعرف حق الله عليه خير له

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٧).
(٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٧)، طبقات ابن سعد (٥/ ١٩٠).
(٤) سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٣).
(٥) سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٨).

من أن يقول ما لا يعلم»[١]. وقد اختلف في وفاته ما بين ست أو سبع أو ثمان ومائة.

قال خليفة بن خياط: «مات من آخر سنة ست أو أول سنة سبع ومائة[٢] وذلك كان بالمدينة».

وقيل مات سنة ثمان ومائة بالمدينة[٣].

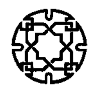
وقيل إنه مات بقديد فقال: كفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها قميصي وردائي هكذا كُفن أبو بكر وأوصى أن لا يُبنى على قبره[٤].

هذا العالم الرباني العابد الزاهد من الذي صنعته وعملت على إخراجه عالماً يهدي الأمة بسيرته وعلمه.

قال ابن عساكر عن القاسم: «قُتل أبوه قريباً من سنة ست وثلاثين بعد عثمان وبقي القاسم يتيماً في حجر عائشة»[٥]. وهكذا ربته أم المؤمنين الفقيهة العالمة عائشة رضي الله عنها فهي ليست من النساء العالمات فقط بل هي من النساء اللاتي صنعن علماء، فهل لنا في أم المؤمنين عائشة من قدوة بأن نتعلم ونعلم أولادنا كي يكونوا علماء يحملون شعلة العلم وينيرون

(١) المصدر السابق (٥/ ٥٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٤).
(٣) مولد العلماء ووفياتهم (١/ ٢٥٩).
(٤) سير أعلام النبلاء (٥/ ٦٠).
(٥) تاريخ ابن عساكر (٤٩/ ١٦٤).

بعلمهم وسيرتهم القلوب والعقول حتى تكون تلك الأم أو المرأة المسلمة خالدة في سجل النساء ولكنهن لسن كأي نساء بل هن نساء صنعن علماء.



٣ ــ سفيانُ الثوري[*]

شيخُ الإسلام وإمامُ الحفّاظ وسَيِّد العلماء العاملين في زمانه أبو عبد الله الثوري الكُوفي المجتهد، ولد سنة ٩٧هـ وطلب العلم وهو حَدَث. عن عبد الله بن المبارك: «ما أعلم على الأرض أعلم من سفيان»[(١)].

وعن أخيه مبارك بن سعيد بن مسروق: قال: «رأيت عاصم بن أبي النجود يجيء إلى سفيان يستفتيه ويقول أتيتنا يا سفيان صغيراً وآتيناك كبيراً»[(٢)].

وعن شعبة ويحيى بن معين وابن عُيينه وغيرهم أنهم أطلقوا على سفيان «أمير المؤمنين في الحديث»[(٣)].

(*) طبقات ابن سعد (٦/ ٣٧١ ـ ٣٧٤)، طبقات خليفة (١٦٨)، التاريخ الكبير (٤/ ٩٢ ـ ٩٣)، مشاهير علماء الأمصار (١٦٩ ـ ١٧٠)، حلية الأولياء (٦/ ٣٥٦)، تاريخ بغداد (٩/ ١٥١ ـ ١٧٤)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩).

(١) الحلية (٦/ ٣٥٧).

(٢) تاريخ بغداد (٩/ ١٦٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٣٦).

وقال ابن أبي حاتم: «الناس على وجوه فمنهم من هو إمام في السنة إمام في الحديث، ومنهم من هو إمام في السنة وليس بإمام في الحديث، ومنهم من هو إمام في الحديث وليس بإمام في السنة، فأما مَنْ هو إمام في السنة إمام في الحديث فسفيان الثوري»(١).

وكان زائدة ـ وهو أحد كبار علماء الحديث ـ يقول: «الثوري سيد المسلمين»(٢).

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنما كانت العراق تجيش علينا بالدراهم والثياب ثم صارت تجيش علينا بالعلم منذ جاء سفيان الثوري»(٣).

وقال الأوزاعي: «لم يبق مَنْ تجتمعُ عليه الأمةُ بالرضا إلاّ سفيان»(٤).

وقال أبو بكر بن عياش: «إني لأرى الرجل صَحُبَ سفيان فيعظُم في عيني»(٥).

وعن سفيان بن عيينة قال: «ما رأيت رجلاً أعلمَ بالحلالِ والحرام من سفيان الثوري»(٦).

---

(١) مقدمة الجرح والتعديل (١/ ١١٨).
(٢) مقدمة الجرح والتعديل (١/ ١١٨.
(٣) تاريخ بغداد (٩/ ١٦٤).
(٤) مقدمة تفسير الثوري ص١٣.
(٥) مقدمة الجرح والتعديل ص٨٥.
(٦) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٣٨).

وعن ابن أبي ذئبٍ قال: «ما رأيت أشبه بالتابعين من سفيان الثوري»[١].

وعن شعبة: «ساد سفيانُ الناسَ بالورع والعلم»[٢].

وقال عنه ابن المبارك: «تعجبني مجالس سفيان الثوري كنت إذا شئت رأيته في الورع وإذا شئت رأيته مصلياً وإذا شئت رأيته غائصاً في الفقه»[٣].

وقال علي بن المديني: «نظرت فإذا الإسناد يدور على ستة: الزهري وعمرو بن دينار وقتادة ويحيى بن أبي كثير وأبو إسحاق والأعمش ثم صار علم هؤلاء الستة من أهل الكوفة إلى سفيان»[٤].

وقال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو كان سفيان من التابعين لكان فيهم له شأن»[٥].

وقال الإمام أحمد بن حنبل وهو يتحدث عن سفيان: «لم يتقدمه في قلبي أحد»[٦].

ولقد كان سفيان الثوري من العلماء العاملين وكان كثيراً

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) حلية الأولياء (٦/ ٣٥٨).
(٤) مقدمة الجرح والتعديل (ص٦٠).
(٥) تاريخ بغداد (٩/ ٦٩).
(٦) رسالة سفيان الثوري للدكتور عبد الحليم محمود ص٦٣.

ما يقول: «يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل»[١].

ويقول فيه الإمام الأوزاعي: «لو قيل لي اختر رجلاً يقوم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ لاخترت لهما الثوري»[٢].

ولقد كان حريصاً عبر سيرته بالاقتداء بالنبي ﷺ والعمل بسنته وكان يقول: «لا يستقيم قول إلا بعمل ولا يستقيم قول ولا عمل إلا بنية ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة»[٣].

وكان زاهداً في هذه الدنيا والزهد عنده له مفهومه الخاص: فقد كان يقول: «الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولا لبس العبا»[٤].

ولما سئل أيكون الرجل زاهداً وله مال قال: «نعم إن ابتلى صبر وإن أُعطى شكر»[٥].

وقال أحمد بن يونس في زهده: «ما رأيت أحداً أعلم من سفيان ولا أورع من سفيان ولا أفقه من سفيان ولا أزهد من سفيان»[٦].

---

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٦٥).
(٢) حلية الأولياء (٦/ ٣٥٨).
(٣) حلية الأولياء (٧/ ٣٢).
(٤) حلية الأولياء (٦/ ٣٨٦).
(٥) كتاب الورع (ص١١٢).
(٦) حلية الأولياء (٦/ ٣٥٩).

وقد اشتهر بكثرة تقديره للعمل بين الناس فقد كان يقول: عليك بعمل الأبطال: الكسب من الحلال والانفاق على العيال[١].

ولذلك كان يعمل بالتجارة حتى لا يحتاج لأحد، وتجتمع له عزة العلم وعزة الغنى عن الناس. ورغم كل هذه المكانة والعزة فقد كان شديد التواضع فلا يرى لنفسه ميزة عن إخوانه ولا يحب الشهرة بين الناس وكان يستصغر نفسه، فلقد رؤى مرة في مكة وقد كثر عليه الناس من حوله فقال: «ضاعت الأمة حين احتيج إليّ»[٢]. وقد كان ورعاً شديد الورع يحاسب نفسه محاسبة دقيقة ومن عجائبه في ذلك أنه قال لجلسائه مرة: «اتقوا الشهوة الخفية أقول لكم اذهبوا إلى عملكم وقلبي يشتهي لا تبرحون»[٣].

وكان يقول مُحاسباً لنفسه: «حُرمت قيام الليل بذنب أحدثته خمسة أشهر»[٤].

وكان شديد الخوف من الله ﷻ وكان عندما يذكر الموت يغشى عليه ويرجف قلبه ولا ينتفع به. روى ابن أبي حاتم بسنده أن سفيان كان إذا ذكر الموت مكث أياماً لا ينتفع به فإذا سئل عن شيء قال: «ما أدري ما أدري»[٥].

---

(١) حلية الأولياء (٦/ ٣٨١).
(٢) حلية الأولياء (٦/ ٣٨٢).
(٣) كتاب الورع ص٥٩.
(٤) حلية الأولياء (٧/ ١٧).
(٥) مقدمة الجرح والتعديل ص٨٥.

وكان عبد الله بن رجاء المكي يقول: «ما رأيت أحداً أكثر ذكراً للموت من سفيان»[١].

وكان يخاف على نفسه من طلب العلم وفتنته ويقول: «وددت أنني أنفلت من هذا الأمر لا لي ولا علي أنا اليوم أطلب العلم فلأيّ شيء هو؟»[٢].

ولهذا كان يحث نفسه وغيره على مزج العلم بالعمل فقد كان يقول: «كفى بالحسرة والندامة يوم القيامة لمن كان يعلم ولا يعمل»[٣].

هذا العالم الرباني العامل الزاهد الورع كان كثيراً ما يقول: «من سُرَّ بالدنيا نُزع حب الآخرة من قلبه»[٤].

وقال: «ليس شيء أنفع للناس من الحديث والملائكة حُرّاس السماء وأصحاب الحديث حُرّاس الأرض»[٥].

وقد تُوفيَ سفيان وشهدت جموعٌ كثيرةٌ من المسلمين جنازته وقد رآه بعض الصالحين ـ بعد موته ـ منهم مصعب بن المقدام فقال: «رأيت النبيﷺ في النوم آخذاً بيد سفيان الثوري وهو يجزيه خيراً»[٦].

---

(١) مقدمة الجرح والتعديل ص١٠٣.
(٢) مقدمة الجرح والتعديل ص٦٢.
(٣) حلية الأولياء (٦/ ٣٩٢).
(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٦٨).
(٥) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٧٩).
(٦) الذهبي (٧/ ٢٧٩).

وقال إبراهيم بن أَعْين: رأيتُ سفيان بن سعيد [أي الثوري] فقلت: ما صنعت؟ قال: «أنا مع السفرة الكِرَام البررة»[١].

وكان هذا العالم عابداً لله كثير القيام فعن محمد بن يوسف قال: «كان سفيان يقيمنا بالليل ويقول: قوموا يا شباب صلّوا ما دمتم شباباً»[٢]. ولقد وضح دور المرأة المسلمة في صناعة هذا العالم في كلمات سجَّلها العلماء بمداد من نور عن وكيع قال: قالت أمُّ سفيان لسفيان: «اذهب فاطلب العلم حتى أَعُولك بمِغْزَلي فإذا كتبت عشرة أحاديث فانظر هل تجد في نفسك زيادة فاتبعه وإلا فلا»[٣].

وهكذا كانت رحمها الله تعمل وتُقدم له ليتفرغ للعلم. وكانت تتخوله بالموعظة والنصيحة قالت له ذات مرة كما روى الإمام أحمد: «يا بُني إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك وحلمك ووقارك فإن لم تر ذلك فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك»[٤]. وهكذا لا غرابة أن نجد ذلك العالم يصل إلى ما وصل إليه من العلم والعمل ما دام تربى على يد هذه الأم الحكيمة وتغذى بلبان هذه الأمّ الرحيمة الناصحة التقية.

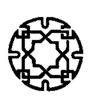
---

(١) الحلية (٦/ ٢٨٤).
(٢) مقدمة الجرح والتعديل.
(٣) تاريخ جرجان (١/ ٤٩٢). سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ٢٦٩).
(٤) الإمام الثوري حياته العلمية والعملية للبيانوني ص٣٦، ص٣٧.

وهكذا المرأة المسلمة تصنع بمغزلها وكلماتها عالم يشهد له الجميع بالفضل ويشيع اسمه على كل لسان. ولم يُسجِّل لنا عن تلك الأم إلا هذا التوجيه العظيم للعمل والعلم معاً فما أعظم أثر الأمهات الصالحات في توجيه أولادهن لكي يصبحوا علماء لا تشغلهم الدنيا بزخرفها عن طلب العلم ونيل الفضل.

وصدق من قال: [البسيط]

ألهى عن العلم أقواماً تطلُّبهم؟
لذَّاتِ دنيا غدوا منها على غرر
وخلَّفوا ما له حظٌّ ومكرمة
إلى التي هي دأب الهون والخطرِ
وأيُّ فخرٍ بدُنياه لمن هَدَمتْ
معايبُ الجهلِ منه كل مفتخرِ
لا تفخرنَّ بدنيا لا بقاءَ لَهَا
وبالعفافِ وكسبِ العلم فافتخرِ
يَفْنَى الرجالُ ويبقى علمهم لهمُ
ذكراً يُجدِّدُ في الآصال والبكرِ



٤ ــ محمد بن إدريس الشافعي[*]

هو الشهاب الثاقب الذي انتظم حواشي الأرض فملأ أقطارها علماً وفقهاً، هو العلامة صاحب أحد المذاهب الفقهية الأربعة هو محمد بن إدريس الشافعي.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[١].

قال أحمد بن حنبل رحمه الله: «نظرنا فإذا في رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز وفي رأس المائة الثانية محمد بن إدريس الشافعي»[٢]. وقال مالك: «ما يأتيني قُرَشي أفهم من هذا الفتى ـ يعني الشافعي»[٣].

وكان سفيان بن عيينه إذا جاءه شيء من الفُتيا والتفسير

(*) تاريخ بغداد (٢/ ٦٢) والمناقب للبيهقي (١/ ٥٥) والبداية والنهاية (١٠/ ٢٥٣) وطبقات الشافعية للسبكي (١/ ٢٠٠) وحلية الأولياء (٩/ ٩٧ ـ ٩٨).

(١) سبق تخريجه في ترجمة عمر بن عبد العزيز.

(٢) سبق هذا القول في ترجمة عمر بن عبد العزيز.

(٣) ابن عساكر (١٤/ ٤٠٤) والمناقب للرازي (١٧).

يُسأل عنها التفت إلى الشافعي فيقول: «سلوا هذا»[١].

وقال أحمد بن حنبل: «لولا الشافعي ما عرفنا فقه الحديث»[٢].

وكان إبراهيم الحربي يقول: «أستاذ الأستاذين» قالوا: من هو؟ قال: «الشافعي أستاذ أحمد بن حنبل»[٣].

وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: «ما رأينا مثل الشافعي كان أصحاب الحديث ونقادُه يجيئون إليه فيعرضون عليه فربما أَعَلَّ نَقْدَ النقاد منهم ويوقفهم على غوامض من علل الحديث لم يقفوا عليها فيقومون وهم متعجبون منه»[٤].

وقال أبو ثور: «كان الشافعي قلما يُمسك شيئاً من سماحته»[٥].

وقال الحميدي: «كان الشافعي يختم القرآن كل يومٍ ختمه»[٦].

قال الذهبي: «قال الربيع بن سليمان ـ من طريقين عنه بل أكثر ـ كان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضان ستين

(١) الحلية (٩/ ٩١ ـ ٩٢).
(٢) ابن عساكر (١٤/ ٤١٤).
(٣) تاريخ بغداد (٢/ ٦٦).
(٤) مناقب الشافعي لابن الجزري ص١٢٨.
(٥) الحلية (٩/ ١٢٧، ١٣٢).
(٦) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/ ٥٤).

ختمه»[١].

هم الرجال وعيبٌ أن يُقال لمن
لم يتصف بمعاني وصفهم رَجُلُ

ومن أقوال الشافعي قال: «أشد الأعمال ثلاثة: الجُود من قلة والورع في خلوة وكلمة الحق عند من يُرجى ويُخاف»[٢].

وقال الشافعي: «الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط»[٣].

وقال: «ليس العلم ما حُفِظ: العلم ما نَفَع واستُعْمِل»[٤].

وقال: «رضى الناس غاية لا تدرك فعليك بما يصلحك فالزمه فإنه لا سبيل إلى رضاهم، واعلم أن من تعلَّم القرآن جلَّ في أعين الناس، ومن تعلَّم الحديث قويت حجته، ومن تعلم النحو هيب ومن تعلم العربية رق طبعه، ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن تعلم الفقه نبل قدره ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه وملاك ذاك كله التقوى»[٥].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٥).
(٢) صفة الصفوة (٢/ ١٦٧).
(٣) الحلية (٩/ ١٢٢) تهذيب الأسماء (١/ ٥٧).
(٤) الحلية (٩/ ١٢٣) وتهذيب الأسماء (١/ ٥٤) وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٨٩).
(٥) الحلية (٩/ ١٢٣) وآداب الشافعي (٢٧٨ ـ ٢٧٩) وصفة الصفوة (٢/ ١٤٤).

هذا العَلَم الذي يشع بالحكمة والنور في كل قول من أقواله قال عنه الشيخ أحمد شاكر: «نبغ الشافعي في الحجاز وكان إلى علمائه مرجع الرواية والسنة وكانوا أساطين العلم في فقه القرآن، ولم يكن الكثير منهم أهل لُسُن وجدل وكادوا يعجزون عن مناظرة أهل الرأي فجاء هذا الشاب يُناظر ويُنافح ويعرف كيف يقوم بحُجته وكيف يُلزم أهل الرأي وجوب أتباع السنة وكيف يُفصِّل للناس طرق فهم الكتاب حتى سماه أهل مكة «ناصر الحديث». وتواترت أخباره إلى علماء الإسلام في عصره فكانوا يفدون إلى مكة للحج يُناظرونه ويأخذون عنه حياة شيوخه حتى أن أحمد بن حنبل جلس معه مرة فجاء أحد إخوانه يعتب عليه أن ترك مجلس ابن عيينه ـ شيخ الشافعي ـ ويجلس إلى هذا الفتى فقال له أحمد: «اسكت إنك إن فاتك حديث بعلوّ وجدته بنزول وإن فاتك عقل هذا أخاف أن لا تجده ما رأيت أحداً أفقه في كتاب الله من هذا الفتى»[1].

لقد كان ذلك العالم (ناصر الحديث) صنعة نسائية وثمرة أم عظيمة، فقد مات أبوه وهو جنين أو رضيع فتولته أمه بالرعاية وأشرقت عليه بحكمتها، وكانت امرأة من فُضليات عقائل الأزد، وتنقلت به من غزة مهبطهُ إلى مكة مستقر أخواله فربته بينهم[2].

---

(١) مقدمة كتاب الرسالة للشافعي بقلم الشيخ أحمد محمد شاكر.
(٢) طبقات الأدباء (٦/ ٣٦٨).

وعن الحميدي عن الشافعي قال: «كنت يتيماً في حجر أمي ولم يكن معها ما تعطي المعلم، وكان المعلم رضيَ مِنّي أن أخلفه إذا قام، فلما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء فأحفظ الحديث والمسألة»(١).

وقد حفَّظته القرآن وهو ابن سبع سنين وورث منها حسن الاستنباط وصفاء الفطرة.

قال ابن حجر: «كانت أم الشافعي رحمها الله ـ باتفاق النقلة ـ من العابدات القانتات ومن أزكى الخلق فطرة، ومن طريف ما يُحكى عنها من الحذق والذكاء أنها شهدت عند قاضي مكة هي وأخرى مع رجل فأراد أن يفرق بين المرأتين فقالت له أم الشافعي: «ليس لك ذلك لأن الله ﷻ يقول: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢] فرجع القاضي لها في ذلك(٢).

قال الحافظ: «وهذا فرع غريب واستنباط قوي»(٣).

وهكذا صنعت لنا تلك المرأة المسلمة هذا العالم العابد العامل بعلمه الذي جعلته بحكمتها مَقْصد العلماء، وهكذا كانت الأم في عصور الإسلام الزاهية وأيامه الخالية مهبط الشرف الحر والعز المؤثل والمجد المكين رحم الله نساء المسلمين:

---

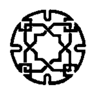
(١) صفة الصفوة (٢/ ١٦٦).

(٢) توالي التأسيس لابن حجر ص٤٦.

(٣) المصدر السابق.

[الوافر]

ولـئـن كـان الـنـسـاءُ كـمـن ذكـرنـا
لَـفُـضِّـلَـتِ الـنِّـسَـاءُ عـلـى الـرجـالِ
ومـا الـتـأنـيـثُ لاسـم الـشـمـس عـيـبٌ
ومـا الـتـذكـيـرُ فـخـراً لـلـهـلال



٥ ــ مالك بن أنس(*)

هو شيخ الإسلام حُجة الأمة، إمامُ دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك.

قال عنه ابن عيينه: «مالك عالم أهل الحجاز وحُجة أهل زمانه»[١].

وقال الشافعي: «إذا ذُكر العلماء فما لك النجم»[٢].

قال يحيى القطانُ: «ما في القوم أصح حديثاً من مالك كان إماماً في الحديث»[٣].

قال الشافعي: «قال محمد بن الحسن ـ صاحب أبي حنيفة وتلميذه ـ أقمت عند مالك ثلاث سنين وكسرا وسمعت من لفظه أكثر من مئة حديث، فكان محمداً إذا حدّث عن مالك

(*) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٤) الديباج المذهب: (١٧) صفة الصفوة (٩٩) الحلية (٦/ ٣١٦) شذرات الذهب (٢/ ١٢ ـ ١٥).

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٥١).

(٢) الحلية (٦/ ٣١٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٦٧).

امتلأ منزله وإذا حَدَّث عن غيره من الكوفيين لم يجئه إلا اليسير»[١].

وقال الشافعي أيضاً: «مالك مُعلمي وعنه أخذت العلم».

وعن حنبل بن إسحاق قال: «سألت أبا عبد الله عن مالك فقال: «مالكٌ سيدٌ من سادات أهل العلم وهو إمام في العلم والفقه ثم قال: ومن مثل مالكٍ متبع لآثار من تقدم مع عقل وأدب»[٢].

وقال عنه الذهبي: «طلب العلم وهو حَدَث وتأهل للفُتيا وجلس للإفادة وله إحدى وعشرون سنة وحدَّث عنه جماعة وهو حَيي شاب طريّ»[٣].

لله دره من إمام نشأ مُحِباً للعلم منذ صِغره ودرّس العلم وجلس للفتيا في سن صغير فَيا له من شباب عرف كيف يخدم دينه بالعلم ونشره وخدمة سنة الرسولﷺ.

ومن أقوال الإمام مالك: «قيل لمالك بن أنس: ما تقول في طلب العلم؟ قال: حَسَن جميل، لكن انظر إلى الذي يلزمُك مِن حين تصبح إلى حين تُمسي فالزمه»[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٦٧ ـ ٦٨).
(٢) صفة الصفوة (٢/ ١٢١).
(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٩ ـ ٥٥).
(٤) صفة الصفوة (٢/ ١٢١).

وعن عبد الله بن وهب قال: «سمعت مالك بن أنس يقول: ليس العلم بكثرة الرواية وإنما هو نور يضعه الله في القلب»(١).

وعن مالك قال: «الجِدَال في الدين يُنشىء المراء ويُذهب بنور العلم من القلب ويُقسي ويُورث الضِّغن»(٢).

عن أبي ثَوْر: سمعت الشافعي يقول: «كان مالك إذا جاءه بعض أهل الأهواء قال: أما إني على بَيِّنة من ديني وأمَّا أنت فشاك اذهب إلى شاكٍّ مثلك فخاصمه».

وعن مالك قال: «بلغني أنه ما زَهِدَ أحد في الدنيا واتقى إلا نطق بالحكمة»(٣).

وعن ابن وَهْب عن مالك قال: «إن الرجل إذا ذهب يمدح نفسه ذهب بهاؤه»(٤).

وعن ابن وهب سمعت مالكاً يقول: «حقٌ على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية، والعلم حسنٌ لمن رُزِق خيره وهو قَسْم مِن الله تعالى فلا تمكن الناس من نفسك، فإن من سعادة المرء أن يُوَفَّق للخير، وإن من شِقوة المرء أن لا يزال يخطىء، وذلٌّ وإهانة للعلم أن يتكلم الرجل

---

(١) المصدر السابق.
(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٩٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٩٧).
(٤) المصدر السابق.

بالعلم عند من لا يُطيعه»[١]. هذا الإمام العالم الشاب الذي سَخَّر علمه في خدمة دينه من صانعته؟ إنها أمه التي كانت تقول له: «اذهب إلى ربيعه فتعلم من أدبه قبل علمه»[٢].

وعن الإمام مالك: «قلت لأمي أذهب فاكتب العلم؟ فقالت: «تعال فالبس ثياب العلم» فألبستني مسمرة ووضعت الطويلة على رأسي وعممتني فوقها ثمّ قالت: «اذهب فاكتب الآن»[٣].

هكذا تحثّ الأم المسلمة ولدها الصغير وهو في ريعان شبابه لكي يطلب العلم فيصل بفضل الله ثم بفضل تشجيعها لأن يصير إماماً يقول فيه مصعب بن عبد الله:

[الكامل]

يَدَعُ الجواب فلا يُراجَعُ هَيْبةً
والسائلون نواكِسُ الإذقان
عِزُّ الوقارِ ونُورِ سُلْطانِ التُّقَى
فهو المَهِيبُ وليس ذا سلطان

ذلك الإمام صنعته المرأة المسلمة والأم المسلمة التي ذكَّت في نفسه حب العلم ووهبته لله ﷻ فأنبته الله نباتاً حسناً ـ

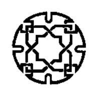
(١) ترتيب المدارك (١/ ١٨٦ ـ ١٨٩).
(٢) عودة الحجاب (٢/ ٢٠٧).
(٣) مقدمة الديباج المذهب لابن فرحون.

في ظل الإسلام وتحت رعاية أم مسلمة ـ فكان من العلماء الذين يرفعون راية العلم وراية الإسلام خفّاقه عبر العصور وكان من الأئمة الأعلام عبر العصور.

وصدق من قال: [الوافر]

مَلَكنا هذه الدنيا لقروناً
وأخضعها جدود خالدونا
وسطَّرنا صحائف من ضياء
فما نسي الزمان ولا نسينا
بنينا خفية في الأرض مُلْكا
يُدعمه شباب طامحونا
شبابٌ ذلَّلوا سُبُل المعالي
وما عرفوا سوى الإسلام دينا
كذلك أخرج الإسلام قومي
شباباً مُخلصاً حراً أميناً

فقد صنعت الأم المسلمة ـ التي صنعها الإسلام ـ شباباً وعلماء سجلَّهم التاريخ في كواكبه من علماء العصور المختلفة ليكونوا في سجل العلماء ولكن صنعتهم نساء مسلمات.



٦ ـ أحمد بن حنبل (*)

هو الإمام حقاً وشيخ الإسلام صدقاً أبو عبد الله أحمد بن حنبل. قال عبد الرزاق: «ما رأيتُ أفقه ولا أورع من أحمد بن حنبل»[(١)].

وعن أبي زُرعة قال: «كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث فقيل له وما يدريك؟ قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب»[(٢)].

وقال يحيى القطان: «ما قدم علينا مثل هذين أحمد ويحيى بن معين، وما قدم عليَّ من بغداد أحب إليّ من أحمد بن حنبل»[(٣)].

وعن إبراهيم الحربي قال: «رأيت أحمد بن حنبل كأن الله

(*) طبقات ابن سعد (٧/ ٣٥٤) تاريخ القسوي (١/ ٢١٢) طبقات الحنابلة (١/ ٤، ٢٠) مناقب الإمام أحمد وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال (١١، ١٢) شذرات الذهب (٢/ ٩٦، ٩٨) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٨).

(١) صفة الصفوة (٢/ ٢٢٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٨٩).

قد جمع له علم الأولين والآخرين»[١].

عن إبراهيم بن شماس قال: «كنت أعرف أحمد بن حنبل وهو غُلام وهو يحيى الليل»[٢].

وكان الإمام شديد الورع واشتهر بذلك منذ صباه، فقد كان عمه يرسل إلى بعض الولاة بأحوال بغداد ليُعلم بها الخليفة، وقد أرسلها مرة مع ابن أخيه أحمد بن حنبل فتورع عن ذلك ورمى بها في الماء تأثماً من الوشاية والتسبب لما عسى أن يكون فيه ضرر بالمسلمين. وقد لفت هذا الورع وهذه النجابة كثيراً من أهل العلم والفراسات حتى قال الهيثم بن جميل: «إن عاش هذا الفتى فسيكون حُجة على أهل زمانه»[٣].

وقال قتيبة: «خير أهل زماننا ابن المبارك ثم هذا الشاب يعني أحمد بن حنبل. وإذا رأيت رجلاً يحب أحمد فاعلم أنه صاحب سنة ولو أدرك عصر الثوري والأوزاعي والليث لكان هو المقدم عليهم، فقيل لقتيبة: يُضم أحمد إلى التابعين؟ قال: إلى كبار التابعين»[٤].

وقال أيضاً: «لولا الثوري لمات الورع، ولولا أحمد

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ٢٢٢).
(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٢٨).
(٣) علو الهمة ص٣٧٣.
(٤) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٩٥).

لأحدثوا في الدين، أحمد إمام الدنيا»[١].

وقال حرملة سمعت الشافعي يقول: «خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أفقه ولا أتقى من أحمد بن حنبل»[٢].

وعن ابن المديني قال: «أعزّ الله الدين بالصّديق يوم الرِّدَّة وبأحمد يوم المحنة»[٣]. أي محنة خلق القرآن الذي ثبت فيها الإمام ثباتاً رفعه الله بها وأعز به الإسلام وجعله حجة على أهل زمانه.

وقال عبد الله بن أحمد: «قال أصحاب بشر الحافي له حين ضُرب أبي: لو أنت خرجت فقلت إني على قول أحمد فقال: أتريدون أن أقوم مقام الأنبياء»[٤].

وقال النسائي: «جمع أحمد بن حنبل المعرفة بالحديث والفقه والورع والزهد والصبر»[٥].

عن محمد ابن أبي بشر قال: «أتيت أحمد بن حنبل في مسألة فقال: ائتِ أبا عبيد فإن له بياناً لا تسمعه من غيره، فأتيته فشفاني جوابه فأخبرته بقول أحمد فقال: ذاك رجلٌ من

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٩٥).
(٢) المصدر السابق.
(٣) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٩٦).
(٤) المصدر السابق.
(٥) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٩٩).

عمال الله. نشر الله رداء عمله وذَخَر له عنده الزُّلفى أما تراه محبباً مألوفاً ما رأت عيني بالعراق رجلاً اجتمعت فيه خصال هي فيه، فبارك الله له فيما أعطاه من الحلم والعلم والفقه فإنه كما قيل: [الطويل]

يُـزيـنُـك مـا غـاب عـنـك فـإن دنـا
رأيـت لـه وجـهـاً يـسُـرُّك مُـقْـبـلاً
يُعـلـم هـذا الـخـلـق مـا شـذَّ عـنـهـمُ
من الأدب الـمجـهـول كـهـفاً ومَعْقِلاً
ويـحْـسُـنُ فـي ذات الإلـه إذا رأى
مَـضـيـمـاً لأهـل الـحـق لا يـسـأم الـبَلَا
وإخـوانـه الأدنـوْن كُـلُّ مُـوَقَّـفٍ
بـصيـرٍ بأمـر الله يـسـمـو عـلـى الـعُـلا[1]

ومن أقوال هذا الإمام الجليل: «إذا ذكرتُ الموت هان عليَّ كل أمر الدنيا إنما هو طعامٌ دون طعام ولباسٌ دون لباس وإنها أيامٌ قلائل ما أعدل بالفقر شيئاً ولو وجدتُ السبيل لخرجت حتى لا يكون لي ذكر»[2].

وقال عبد الله بن أحمد: سمعت أبي يقول: «وددت أني نجوت من هذا الأمر كفافاً لا عَلَيَّ ولا لي».

وقال الميموني: قال لي أحمد: «يا أبا الحسن إيَّاك أن

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٠١).
(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢١٥ ـ ٢١٦).

تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام»(١).

وقال أحمد: «من ردَّ حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هَلَكَة»(٢).

وهكذا كان رحمه الله ناصراً للسنة وصابراً عند المحنة حتى أصبح من يحبه محباً للسنة ومن يكرهه مبتدعاً، وصدق من قال: [الكامل]

أضحى ابنُ حنبل مِحنَةً مَرَضِيَّة
وبحُبِّ أحمدَ يُعْرَفُ المُتنَسِّكُ
وإذَا رأيتَ لأحْمَدٍ مُتنقصاً
فاعلم بأن سُتُورَهُ ستُهَتَّكُ(٣)

هذا العالم الحجة من الذي صنعه؟، لقد صنعته أمه فلقد روت المصادر أن أحمد بن حنبل تربى يتيماً في حجر أمه حيث مات أبوه شاباً ووليته أمه(٤).

وقد عودته على طلب العلم في صغره، فقد حفظ القرآن في صباه وتعلم القراءة والكتابة ثم اتجه إلى الديوان يمرن على التحرير ويقول عن نفسه: «كنت وأنا غُليم أختلف إلى الكُتَّاب ثم أختلف إلى الديوان وأنا ابن أربعَ عشرة سنة»(٥). وكانت

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٩٦).
(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٩٧).
(٣) تاريخ بغداد (٤/ ٤٢٠ ـ ٤٢١).
(٤) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٩).
(٥) علو الهمة ص٣٧٢.

تلك النشأة ـ التي صنعته فيها أم مسلمة ـ مثار لتعجب الكثيرين فقد قال بعض الآباء: «وأنا أنفق على ولدي وأجيئهم بالمؤدبين على أن يتأدبوا فما أراهم يفلحون، وهذا أحمد بن حنبل غلام يتيم انظروا كيف!!» وجعل يعجب من أدبه وحسن طريقته(١). وهكذا ظلت المرأة المسلمة تسعى لصنع علماء يحملون لواء السنة ويرفعونها عالية خفاقة، وصدق من قال في وصف هؤلاء العلماء: [الكامل]

وقفوا على هام الزمان رجالاً
يتوثَّبون تطلُّعاً ونضالاً
وحي السماء يجيش في أعماقهم
ونداؤه من فوقه يتعالى
باعوا النفوس لربهم واستمسكوا
بكتابه.. واستقبلوا الأهوالا
وامتد في شرق البلاد وغربها
نور تَتِيْهُ به الحياة جمالاً
فتشبَّهوا إن لم تكونوا مثلهم
أُسدٌ تُخَلِّف بعدها أشبالاً

رحم الله أم الإمام أحمد ورحم الله ذلك الإمام الجليل ورزق الأمة علماء صالحين يرفعون راية السنة عبر كل العصور!

(١) المصدر السابق ص٣٧٣.

٧ ـ حَجَّاج بن الشاعر(*)

هو حجاج بن يوسف بن حجاج الثقفي أبو محمد، ويُعرف بابن الشاعر وقيل له ابن الشاعر لأن أباه كان شاعراً وصحب أبا نواس وأخذ عنه وأما ابنه حجاج فأحد أئمة الحديث الثقات[١].

ولد هذا الإمام في بغداد وسمع من كثير من علمائها منهم يعقوب بن إبراهيم بن سعد، وحجاج بن محمد وأبي النضر وأبا أحمد الزبيري[٢]. ولقد روى عنه خلقٌ كثير من أهل العلم ولعلَّ أشهرهم: الإمام مسلم بن حجاج صاحب صحيح مسلم وأبي داود السجستاني صاحب السنن وروى عنه أبو يعلى وأبو حاتم وابنه عبد الرحمٰن[٣].

(*) المنتظم من ٢٥٧هـ (٥/ ٢٠)، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٩٩) طبقات الحفاظ (١/ ٢٤٧)، طبقات الحنابلة (١/ ١٤٩)، تاريخ بغداد (٨/ ٢٤٠).

(١) طبقات الحفاظ ((١/ ٢٤٧)، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٩٩).

(٢) طبقات الحنابلة (١/ ١٤٩) وتاريخ بغداد (٨/ ٢٤١).

(٣) طبقات الحفاظ (١/ ٢٤٨)، طبقات الحنابلة (١/ ١٤٩).

ولقد قام حجَّاج برحلات كثيرة إلى مختلف البلدان (العراق والحجاز والشام) في سبيل طلب العلم ولقاء الشيوخ، وكان هذا اللقاء ضرورياً للتمكن من علوم الحديث ولأن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً.

ولقد ارتبط حجاج بالإمام أحمد بن حنبل وأحبه كثيراً وحزن لموته ـ كما حزن على ذلك الإمام كل صاحب سنة ـ وروى أنه قال: «ما كنت أحب أن أُقتل في سبيل الله ولم أصل على أحمد بن حنبل»[(١)].

كما كان شديد الاحترام للعلماء المعاصرين له فعن أبي عمارة عن القاسم بن نصر قال: مَرَّ المروزي بحجاج بن الشاعر فقام إليه وقال: «سلامٌ عليك يا خادم الصديقين»[(٢)].

وقد وثَّقه علماء عصره ورجال الجرح والتعديل.

قال ابن أبي حاتم: «كتبت عنه وهو ثقة من الحُفاظ ممن يحسن الحديث وسئل أبي عنه فقال صدوق»[(٣)].

وقال أبو عبد الرحمٰن النسائي: «أبو محمد حجاج بن يوسف بغدادي ثقة»[(٤)].

---

(١) حلية الأولياء (٩/ ١٧٣).
(٢) المصدر السابق.
(٣) طبقات الحنابلة (١/ ١٥٠)، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٠١).
(٤) طبقات الحفاظ (١/ ١٥٠) وتاريخ بغداد (٨/ ٢٤٠).

وقال صاحب طبقات الحنابلة: «كان ثقة فهماً من الحفاظ»[١].

وقال محمد بن علي الآجري: قلت لأبي داود سليمان بن الأشعث: أيما أحب إليك الرمادي أو حجاج بن الشاعر؟ فقال: «حجاج خير من مائة مثل الرمادي»[٢].

ولقد كان عالماً عاملاً شديد الورع فعن الأزهري قال: قال لنا أبو بكر بن شاذان حدثني المحاملي ـ وهو من الذين أكثروا الرواية عن الإمام ـ قال: بلغني عن حجاج بن الشاعر أنه سمعه بعض الجيران وهو يقول: كذبت يا عدو الله كذبت يا عدو الله، قال فدخل عليه فقال: ما هذا؟ قال: أدخلت أحليلي في جوف البالوعة فجاء الشيطان فقال قد أصاب طهرك قال[٣].

وبلغني (أي صاحب تاريخ بغداد) أنه مَرّ يوماً في درب وفي آخره مِيزَاب فقال: أصابني لم يصبني (أي شك) فلما طال عليه جاء فجلس تحته وقال: استرحت من الشك[٤].

وكما قلت قبل ذلك أنه كان كثير الرحلة في طلب العلم مع شدة فقره وعدم استعداده بالمال اللازم للإنفاق على هذه

---

(١) طبقات الحنابلة (١/ ١٥٠).
(٢) تاريخ بغداد (٨/ ٢٤٠)، المنتظم ٢٥٧هـ (٥/ ٢١).
(٣) تاريخ بغداد (٨/ ٢٤٠).
(٤) تاريخ بغداد (٨/ ٢٤١).

الرحلات، وهذا يدل على حبه للعلم وحرصه على طلبه مهما كلفه الأمر. ولعل خير مثل يوضح لنا شدة معاناته في طلب العلم قوله: «جمعت لي أمي مائة رغيف وجعلتها في جراب وانحدرت إلى شيابه[*] بالمدائن فأقمت ببابه مائة يوم كل يوم أجيء برغيف فأغمسه في دجلة فآكله فلما نفذت خرجت»[1].

وهكذا تظهر اليد الدافعة لهذا العالم الثقة الإمام، إنها الأم التي تعينه بالزاد القليل ليطلب العلم النافع الذي سيكون زاده في سفره الطويل. وهكذا كانت أم حجاج من العوامل المساعدة له بل من الصانعات له فلقد صَحِبَ زوجها الشعراء فأحبت هي أن يصحب ابنها العلماء وشتان بين الصحبتين. وهكذا ربَّت ولدها على حب العلم والصبر في طلبه، ورغم أن التراجم لم يسجل لنا اسمها إلا أن التاريخ خلَّد لها ذلك الموقف فروته عدة مصادر ليظهر عبر صفحات التاريخ دور المرأة المسلمة في صناعة ومساعدة تلك الكواكب المنيرة من العلماء المجتهدين.

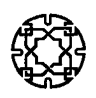
رحم الله أم حجاج ورزقها الله عنه وعن الإسلام خير الجزاء فقد دفعت بولدها إلى ساحة النور والعلم التي لا يخوضها إلا كل من أحب الله ورسوله وأخرجت للأمة إماماً

(*) هو شَبَابة بن سَوَار مُحدث ثقة أخذ عنه ابن حنبل وكثيرون أصله من خراسان سكن المدائن وأقام مدة ببغداد.

(١) المنتظم من ٢٥٧هـ (٥/ ٢٠) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٠١)، تاريخ بغداد (٨/ ٢٤٠) وطبقات الحنابلة (١٠٦).

عالماً لحق بركب العلماء الذين صنعتهم نساء والذين أعلوا من شأن السنة:

أضحوا من السُّنَّةِ العلياء في سَنَنٍ
سهلٍ وقاموا بحفظ الدين والأثر
أجلَّ شيء لديهم قال أخبرنا
عن الرسول بما قد صحَّ من خبَر(١)



(١) الأبيات من بحر الطويل.

٨ ـ ربيعة الرأي(*)

هو ربيعة بن أبي عبد الرحمٰن مولى التيمين، واسم أبي عبد الرحمٰن فروخ ويُقال له ربيعة الرأي وكنيته أبو عثمان[١].

مفتي المدينة وعالم الوقت وأحد الأئمة المجتهدين الذين حملوا العلم ونشروا نوره في بقاع الأرض، وقد أخذ عنه خلق كثير من الأئمة مثل مالك والثوري وقد أثنى عليه الكثيرون من أئمة العلم.

قال يحيى بن سعيد: «ما رأيت أحداً أفطن من ربيعة»[٢].

قال أبو بكر الخطيب: «كان ربيعه فقيهاً عالماً حافظاً للفقه والحديث»[٣].

(*) طبقات خليفة (٢٦٨) تاريخ البخاري (٢/ ٢٨٦) تاريخ بغداد (٨/ ٤٢٠) وثقات ابن حبان (٣/ ٦٥) صفة الصفوة (٢/ ٨٣) سير أعلام النبلاء (٦/ ٨٩).

(١) ثقات ابن حبان (٣/ ٦٥).

(٢) صفة الصفوة (٢/ ١٠٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٦/ ٩٣).

وقال الليث قال لي عبيد الله بن عمر: «هو [أي ربيعة] صاحب معضلاتنا وأعلمنا وأفضلنا»[١].

وقال مصعب الزبيري: «كان يُقال له ربيعة الرأي وكان صاحب الفتوى بالمدينة وكان يجلس إليه وجوه الناس وكان يحصى في مجلسه أربعين معتماً»[٢].

وعن عبد الرحمٰن زيد بن أسلم قال:

«مكث ربيعة دهراً طويلاً عابداً يصلي الليل والنهار وصاحب عبادة ثم نزع ذلك إلى أن جالس القوم، قال: فجالس القاسم فنطق بلُبّ وعقل قال: وكان القاسم إذا سئل عن شيء قال: سلو هذا لربيعة»[٣].

وكان جواداً كريماً قال عنه الذهبي: «ما كان بالمدينة رجلاً أسخى بما في يديه لصديق أو لابن صديق أو لباغ يبتغيه منه، كان يستصحبه القوم فيأبى صحبة أحد إلا أحداً لا يتزود معه ولم يكن في يده ما يحمل ذلك»[٤]،

وكان شديد الخشوع كثير البكاء، عن سفيان قال: «كان ربيعة بن أبي عبد الرحمن يوماً جالساً فغطى رأسه ثم اضطجع فبكى فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: رئاء ظاهر وشهوة خفية»[٥].

(١) سير أعلام النبلاء (٦/ ٨٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (٦/ ٩١).
(٣) سير أعلام النبلاء (٦/ ٩١).
(٤) سير أعلام النبلاء (٦/ ٩٢).
(٥) صفة الصفوة (٢/ ١٠٤).

وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: «لقد رأيت مشيخة المدينة وإن لهم لغدائر وعليهم الممصَّر والمورَّد في أيديهم مخامر وفي أيديهم آثار الجنَّاء في هيئة الفتيان ودين أحدهم أبعد من الثريا إذا أريد على دينه»[١].

وقال يحيى بن معين عن ربيعة الرأي: «كان ثقة كثير الحديث وكانوا يتقونه لموضع الرأي»[٢].

وقال ربيعة: «المروءة في الحضر: الإدمان إلى المساجد وتلاوة القرآن وكثرة الإخوان في الله ﷻ»[٣].

عن سوَّار بن عبد الله العنبري قال: «ما رأيتُ أحداً أعلم من ربيعة الرأي قيل: ولا الحسن وابن سيرين؟ قال: ولا الحسن وابن سيرين»[٤].

وصحَّ عن ربيعة أنه قال: «العلم وسيلة إلى كل فضيلة»[٥].

ولقد جاء في نشأة وحياة هذا الإمام قصة طويلة جاء فيها: «عن عبد الرحمن بن محمد الفزاز بالإسناد، عن مشيخة أهل المدينة أن فَرُّوخاً أبا عبد الرحمن أبا ربيعة خرج في

(١) صفة الصفوة (٢/ ١٠٤).
(٢) سير أعلام النبلاء (٦/ ٩٣).
(٣) روضة العقلاء لابن حبان ص٢٣٢ والتمهيد (٢٣/ ١٧٨).
(٤) سير أعلام النبلاء (٦/ ٩٢).
(٥) المصدر السابق.

البعوث إلى خُراسان أيام بني أمية غازياً وربيعة حَمْلٌ في بطن أُمه وخلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكبٌ فرساً وفي يده رمح فنزل عن فرسه ثم دفع الباب برمحه فخرج ربيعة فقال له: يا عدو الله أتهجم على منزلي؟ فقال: لا وقال فروخ: يا عدو الله أنت رجل دخلت على حرمي، فتواثبا وتلبّب كل واحدٍ منهما بصاحبه حتى اجتمع الجيران فبلغ مالك بن أنس والمشيخة فأتوا يعينون ربيعة فجعل ربيعة يقول: والله لا فارقتك إلا عند السلطان، وجعل فرّوخ يقول: والله لا فارقتك إلا عند السلطان وأنت مع امرأتي، وكثر الضجيج فلما بصروا بمالك سكت الناس كلُّهم فقال مالك: أيها الشيخ لك سعة في غير هذه الدار، فقال الشيخ: هي داري وأنا فروخ مولى بني فلان، فسمعت امرأته كلامه فخرجت فقالت: هذا زوجي، وهذا ابنه الذي خلّفه وأنا حامل به فاعتنقا جميعاً وبكيا، فدخل فروخ المنزل فقال: هذا ابني؟ قالت: نعم، قال: فأخرجي المال الذي عندك وهذه معي أربعة آلاف دينار فقالت: المال قد دفنته وأنا أخرجه بعد أيام.

فخرج ربيعة إلى المسجد وجلس في حلقته وأتاه مالك بن أنس والحسن بن زيد وابن أبي علي اللهبي والمساحقي وأشراف المدينة وأحدق الناس به فقالت امرأته: اخرج فَصَلِّ في مسجد رسول الله ﷺ فخرج فنظر إلى حلقةٍ وافرة فأتاه فوقف عليه ففرَّجُوا له قليلاً ونكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم

يره فقال: من هذا الرجل؟ فقالوا: هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن، فقال أبو عبد الرحمن: لقد رفع الله ابني فرجع إلى منزله فقال لوالدته: لقد رأيت ولدك في حالةٍ ما رأيت أحداً من أهل الفقه والعلم عليها، فقالت أمه: فأيّما أحبّ إليك ثلاثون ألف دينار أو هذا الذي هو فيه من الجاه؟ قال: لا والله إلا هذا، قالت: فإني أنفقت المال كله عليه قال: فوالله ما ضيَّعته»[١].

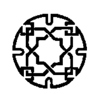
وهكذا تنفقُ المرأةُ المسلمةُ الأموالَ الطائلةَ لينالَ ولدها شرف العلم ولكي يجلس ذلك المجلس الذي تفخر كل أم بأن ولدها يجلسُ بين يديه أمثال الإمام مالك بن أنس وغيره من أشراف المدينة. وهذا يُذكرنا بما جاء في فضل العلم أن المال يذهب ويفنى ولكن العلم باق ببقاء عطاء العالم، كما أنَّ صنيع هذه المرأة المسلمة التي صنعت عالماً من أئمة العلماء المجتهدين جديرٌ بأن نسجل هذا الصنيع بمداد من نور عبر صفحات «نساء صنعن علماء»، فرحم الله أم ربيعة وجازها عن الإسلام خير فقد صنعت من وليدها عالماً ينفع دينه. ويقول عنه مالك بن أنس بعد وفاته: «ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة بن أبي عبد الرحمن»[٢] رحم الله تلك الأم وصدق من قال: [الكامل]

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ١٠٢ ـ ١٠٣).

(٢) صفة الصفوة (٢/ ١٠٥) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧ ـ ١٣٤).

الأم مــــدرســــةٌ إذا أَعْــــدَدْتَــــهــــا
أعــددت شــعــبــاً طــيــبَ الأعــراقِ
الأمُّ روضٌ إن تــعــهــده الــحــيــا
بــالــري أورق أيــمــا إيــراقِ
الأم أســتــاذ الأســاتــذة الأُلَــى
شَــغَــلَــتْ مــآثــرهــم مــدى الآفــاقِ



٩ ــ الأوزاعي(*)

هو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي إمام أهل الشام وفقيههم، أبو عمرو صاحب المذهب المشهور الذي ينتسب إليه الأوزاعية قديماً[١]. وقد ولد في بعلبك ونشأ بالبقاع ونقلته أمه إلى بيروت فعاش بها وقد كان عالماً فقيهاً.

قال عنه ابن كثير: «تأدب بنفسه فلم يكن من أبناء الملوك والخلفاء والوزراء والتجار وغيرهم، لا نرى أعقل منه ولا أورع ولا أعلم ولا أفصح ولا أوقر ولا أحلم ولا أكثر صمتاً منه، ما تكلم بكلمة إلا كان المتعين على من سمعها من جلسائه أن يكتبها عنه»[٢].

(*) طبقات ابن سعد (٧/ ٤٨٨)، تاريخ خليفة (٤٢٨) تاريخ الإسلام (٦/ ١٢٥) طبقات المحدثين ترجمة (٥١٠) وشذرات الذهب (١/ ٢٤١) تهذيب التهذيب (٦/ ٢٣٨ ـ ٢٤٢) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٢٩) النجوم الزاهرة (٢/ ٣٠) طبقات الحنابلة (١/ ١٧١) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٩).

(١) النجوم الزاهرة (٢/ ٣٠).

(٢) البداية والنهاية (١٠/ ١١٥).

أدرك خلقاً من التابعين وغيرهم وحدَّث عنه جماعات من سادات المسلمين كمالك بن أنس والثوري وأثنى عليه غير واحد من الأئمة.

قال مالك: الأوزاعي: إمام يقتدى به[(١)].

وقال محمد بن سعد: كان خيراً فاضلاً مأموناً كثير العلم والحديث والفقه[(٢)].

قال الوليد بن مسلم: «ما رأيت أكثر اجتهاداً في العبادة من الأوزاعي»[(٣)].

قال أبو إسحاق الفزاري: «ما رأيت مثل رجلين الأوزاعي والثوري، فأما الأوزاعي فكان رجل عامة والثوري كان رجل خاصة، ولو خُيِّرتُ لهذه الأمة لاخترت لها الأوزاعي ـ يريد للخلافة ـ لأنه كان أكثر توسعاً وكان والله إماماً إذ لا نصيب اليوم إماماً، ولو أن الأمة أصابتها شدة والأوزاعي فيهم لرأيت لهم أن يَفْزَعوا إليه»[(٤)].

وكذلك قال أحمد بن حنبل: «دخل سفيان الثوري والأوزاعي على مالك فلما خرجا: قال أحدهما أكثر علماً من صاحبه ولا يصلح للإمامة والآخر يصلح للإمامة يعني

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ١١٢).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٩).
(٣) شذرات الذهب (١/ ٢٤٣).
(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ١١٣).

الأوزاعي»[١].

قال الوليد بن مسلم: قال: «ما كنت أحرص على السماع من الأوزاعي حتى رأيت رسول الله في المنام والأوزاعي إلى جنبه فقلت: يا رسول الله عمن أحمل العلم قال: عن هذا وأشار إلى الأوزاعي»[٢]. هكذا كان الإمام مشهوراً بالخير والعلم والفضل. قال إسماعيل بن عياش: «سمعت الناس في ستة أربعين ومئة يقولون الأوزاعي اليوم عالم الأمة»[٣].

وكيف لا يكون عالم الأمة في زمانه وقد نصر سنة المصطفى ﷺ وحدَّث عن خير البشر محمد ﷺ :

لا شيء أحسن من قال الرسول وما
أجلَّ من سندٍ عن كل مشتهر
ومجلسٌ بين أهل العلم جاد بما
حلا من الدر أو أحلى من الدُّرر[٤]

وقال الخريبي: «كان الأوزاعي أفضل أهل زمانه»[٥].

وقال الشافعي: «ما رأيت أحداً أشبه فقهه بحديثه من

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ١١٢).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ١١٨).
(٣) المصدر السابق (٧/ ١١١).
(٤) الأبيات من بحر الطويل.
(٥) المصدر السابق.

الأوزاعي»[١].

قال عبد الرحمن بن مهدي: «إنما الناس في زمانهم أربعة: حماد بن زيد بالبصرة والثوري بالكوفة ومالك بالحجاز والأوزاعي بالشام»[٢].

وقال بقية بن الوليد: «إنا لنمتحن الناس بالأوزاعي فمن ذكره بخير عرفنا أنّه صاحبَ سنة، وقال العِجْلِي: «شامي ثقة من خيار المسلمين»[٣].

وقال الوليد بن مُسْلم: «رأيتُ الأوزاعي يَثْبُت في مُصلاه يذكر الله حتى تطلُع الشمس ويُخبرنا عن السلف أن ذلك كان هديهم فإذا طلعت الشمس قام بعضهم إلى بعض فأفاضوا في ذكر الله والتفقه في الدين»[٤].

وعن سفيان الثوري: «أنه لما بلغه مقدم الأوزاعي خرج حتى لقيه بذي طوى فحل سفيان رأس البعير عن القطار ووضعه على رقبته، وكان إذا مرّ بجماعة قال: الطريق للشيخ»[٥].

قال النووي رحمه الله: «وقد أجمع العلماء على إمامةِ الأوزاعي

(١) تهذيب التهذيب (٦/ ٢٣٨ ـ ٢٤٢) البداية والنهاية (١٠/ ١١٦).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ١١٣).
(٣) تهذيب التهذيب (٦/ ٢٣٨).
(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ١١٤).
(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٠٠).

وجلالته وعُلو مرتبته وكمال فضله، وأقاويل السلف رحمهم الله كثيرة مشهورة مصرِحة بورعه وزهده وعبادته وقيامه بالحق وكثرة حديثه وغزارة فقهه وشدة تمسكه بالسنة وبراعته في الفصاحة وإجلال أعيان أئمة عصره من الأقطار له واعترافهم بمرتبته»[١].

ومن أقوال الأوزاعي: «من أكثر ذكر الموت كفاه اليسير ومن عرف منطقه من عمله قلّ كلامه»[٢].

قال مروان الطّاطَرِي: قال الأوزاعي: «من أطال قيام الليل هوّن الله عليه وقوفَ يوم القيامة»[٣].

قال الوليد بن مَزْيَد: قال الأوزاعي: «إذا أراد الله بقومٍ شراً فتح عليهم الجَدَل ومنعهم العمل»[٤].

وقال أبو مُسهر: «وكان الأوزاعي رحمه الله يحيى الليل صلاة وقرآناً وبكاءً، وأخبرني بعض إخواني من أهل بيروت أن أمه كانت تدخلُ منزل الأوزاعيِّ وتتفقد موضِع مُصَلَّاة فتجده رطْباً من دموعه في الليل»[٥].

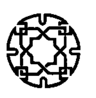
قال الذهبي: «قال العباس بن الوليد: ما رأيتُ أبي

(١) تهذيب الأسماء والصفات (١/ ٢٢٩).
(٢) الحلية (٦/ ١٤٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ١١٩).
(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٢١).
(٥) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٢٠).

يتعجب من شيء في الدنيا تعجبه من الأوزاعي، فكان يقول سبحانك تفعل ما شاء كان الأوزاعي يتيماً فقيراً في حَجْر أُمِّه تنقله من بلد إلى بلد، وقد جرى حكمك فيه أن بلَّغتَه حيث رأيته، يا بني عجزت الملوك أن تؤدب نفسها وأولادها، أدب الأوزاعي في نفسه ما سمعت منه كلمةً قطُّ فاضلةً إلا احتاج مستمعها إلى إثباتها عنه ولا رأيته ضاحكاً قط حتى يُقهقِه، ولقد كان إذا أخذ في ذكر المعاد أقول في نفسي: أتُرى في المجلس قلب لم يبكِ؟»[1].

هكذا صنعت تلك المرأة المسلمة في ظل ظروفها القاسية عالماً فقيهاً عابداً زاهداً واعظاً لتنضمَّ بجداره لنساء صنعن علماء وصدق من قال عن المرأة المسلمة: [البسيط]

خَلَّفْتِ جيلاً من العلماء سِيرتهم
تضوعُ بينَ الوَرَى روحاً وريحاناً
كانت علومهموا بِرّاً ومَرْحمة
كانت سياستهم عدلاً وإحساناً



(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ١١٠).

١٠ ــ شعبة بن الحجاج(*)

الإمام الحافظ أمير المؤمنين في الحديث عالم أهل البصرة وشيخُها أبو بسطام.

قال عنه الذهبي: «كان أبو بسطام إماماً ثبتاً حجة، ناقداً جهبذاً، صالحاً، زاهداً، قانعاً بالقوت، رأساً في العلم والعمل، منقطع القرين وهو أول من جَرَّح وعَدَّل أخذ عنه هذا الشأن يحيى بن سعيد القطان وابن مهدي وطائفة وكان سفيان الثوري يخضع له ويُجِلُّه ويقول: شعبةُ أمير المؤمنين في الحديث»[١].

وقال الشافعي: «لولا شعبة لما عُرف الحديث بالعراق»[٢].

(*) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٨٠) تاريخ بغداد (٩/ ٢٥٥ ـ ٢٦٦) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٦) تهذيب التهذيب (٤/ ٣٣٨ ـ ٣٤٦) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠٢ ـ ٢٢٩).

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠٦).

(٢) المصدر السابق.

وقال أبو حنيفة: «نِعْمَ حشو المِصْرَ هُوَ»[١]. وكان الإمام أحمد بن حنبل يقول: «كان شعبة أمة وحده في هذا الشأن ـ يعني في الرجال وبصره بالحديث وتثبته وتنقيته للرجال»[٢].

وقال ابن معين: «كان شعبة في غاية الزهد والورع والتقشف والحفظ وحسن الطريقة»[٣].

وكان عابداً صادقاً مخلصاً في عبادته، قال أبو المظفر عبد السلام بن مطهر: «ما رأيت من الفقهاء مثل شعبة أبين ولا أمعن في العبادة منه»[٤].

ولقد رأى شعبة أن السنة النبوية التي يحملها وينشر تدعو للتقشف والتقلل من الطعام والشراب والاقتصاد في الإنفاق. قال عبد الرحمن بن مهدي: «ما رأيت أشد تقشفاً من شعبة»[٥].

وكان ينصح طلبته بالزهد، قال تلميذه قراد أبو نوح: رأى عليّ شعبة قميصاً فقال: بكم أخذت هذا؟ قلت: بثمانية دراهم قال: «ويحك أما تتقي الله تلبس قميصاً بثمانية ألا اشتريت قميصاً بأربعة وتصدقت بأربعة»[٦].

---

(١) تاريخ بغداد (٩/ ٢٥٥).
(٢) العلل لابن حنبل (١/ ١١١).
(٣) البداية والنهاية (١٠/ ١٣٣).
(٤) مقدمة الجرح والتعديل ص١٧٢.
(٥) العقد الفريد لابن عبد ربه (٣/ ١٧٠).
(٦) حكايات أبي بسطام للبغوي لوحة ١ب.

ويقول سليمان بن حرب: «كان شعبة شيخاً كثير الصدقة»[١].

وقد سُميّ لشدة صدقته على الفقراء بأبي الفقراء وأمهم[٢]. وكان من أرق الناس قلباً فربما مر به السائل فيدخل إلى بيته فيعطيه ما أمكنه فإذا لم يجد شيئاً لا يزال ينظر إليه حتى يغيب عنه[٣].

وكان يستدين ليعطي مسكيناً. قال يحيى بن سعيد القطان: «ما رأيت أحداً أشد حباً للمسكين من شعبة وكنت أكون عنده فيجيء السائل فلا يكون معه شيء فيقول لي: يحيى معك شيء؟ فأقول نعم، فأعطيه فيعطيه السائل ثم يرد عليّ فأقول: يا أبا بسطام؟ إيش هذا فيقول خذها»[٤].

وكان كريم النفس سخي اليد يقول تلميذه أبو الوليد الطيالسي: «ما رأيت أسخى من شعبة»[٥].

فقد كان بصدق رقيق القلب محباً للمساكين كريم اليد والعطاء، وكل هذا بدافع من العلم الذي جعله يعلو في عيون معاصريه.

---

(١) تاريخ بغداد (٩/ ٢٦١).
(٢) تهذيب الكمال: للمزي.
(٣) تاريخ بغداد (٩/ ٢٦١).
(٤) حلية الأولياء (٧/ ١٤٦).
(٥) مقدمة الجرح والتعديل ص١٧٣.

عن مسلم بن قتيبة: «قدمت من البصرة فأتيت الكوفة، فأتيت سفيان الثوري فقال لي: من أين أتيت؟ قلت: من البصرة قال: ما فعل أستاذنا شعبة»[١].

قال عمر بن هارون: «كان شعبة يصوم الدهر كله»[٢].

قال يحيى بن سعيد: «ما رأيت أحداً قط أحسن حديثاً من شعبة»[٣].

وقال أبو بحر البكراوي: «ما رأيت أحداً أعبدَ لله من شعبة، لقد عبد الله حتى جفَّ جلدُه على عظمه واسودَّ»[٤].

قال أحمد بن حنبل: «شعبة أثبت من الأعمش في الحكم، وشعبة أحسن حديثاً من الثوري قد روى عن ثلاثين كوفياً لم يلقهم سفيان»[٥].

قال النصر بن شُمَيْل: «ما رأيت أرحمَ بمسكين من شعبة»[٦].

ومن أقوال ذلك العالم الفذ قال أبو قطن: «سمعت شعبة بن الحجاج يقول: ما شيء أخوف عندي من أن يُدخلني

---

(١) شعبة بن الحجاج لعبد الملك بكر القاضي ص١١٩.
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠٩).
(٣) المصدر السابق.
(٤) تهذيب الكمال (٥٨٤).
(٥) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢١٠).
(٦) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢١١).

النار من الحديث»[١].

وقال ابن مهدي: سمعت شعبة يقول: «إن هذا الحديث يصُدُّكم عن ذكر الله وعن الصلاة وعن صلة الرحم فهل أنتم منتهون»[٢].

وروي عن عبد القُدُّوس بن محمد الحبحابي: سمعت أبي يقول: «لَمَّا مات شعبة أُريتُه بعد سبعة أيام وهو آخذ بيدِ مِسْعَر وعليهما قميصاً نور فقلت: يا أبا بسطام ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي قلت: بماذا؟ قال: بصدقي في رواية الحديث ونشري له وأدائي الأمانة فيه ثم انشأ يقول: [الطويل]

حَبَانِي إلهي في الجِنَانِ بقُبَّةٍ
لها ألفُ بابٍ من لُجَينٍ وجوهرِ
شَرَابِي رحيقٌ في الجِنَانِ وحِلْيَتي
من الذهبِ الإبْرِيْز والتاج أزهرِ
ونَقْلِي لِثَامُ الحورِ واللَّهُ خَصَّنِي
بقصرِ عَقِيْقٍ تُرْبةُ القصرِ عَنْبَرِ
وقال لي الرحمنُ يا شعبةَ الذي
تَبَحَّرَ في جَمْع العُلوم فأكثِرِ
تَنَعَّمْ بقُرْبي إنني عنك راضِي
وعن عبدِيَ القَوَّام بالليل مِسْعَرِ

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢١٣).
(٢) المصدر السابق.

وهكذا كان شعبة عالماً بالحديث بذل ماله ونفسه للحديث النبوي فنال ذلك الفضل من الثناء الجميل في حياته وبعد مماته. ولقد كان للأم المسلمة أم شعبة أكبر الأثر في اهتمامه بالحديث النبوي الذي كانت ـ رحمها الله ـ لها إلمام به فهو القائل عنها: قالت أمي لهشام بن حسان: «عن من يحدث محمد بن سيرين من أصحاب النبيﷺ؟ قال: عن ابن عمر وأبي هريرة قالت: وسمع منهم؟ قال: نعم»[1].

وكانت تَحُثُّ شعبة على طلب العلم وتدله على مواطنه، وفي هذا الصدد يقول: «قالت لي أمي: ها هنا امرأة تُحدث عن عائشة فاذهب فاسمع، منها فذهبت فسمعت منها ثم قلت لها: قد سمعت منها: قالت: سلَّمك الله قال أبو الحسن: هذه المرأة يُقال لها شُميسة أم سلمة»[2].

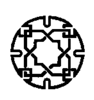
وقد كان لهذه الأم الدور الرائد في تربية ذلك العالم الفذ الذي صنعته تلك الأم الفاضلة التي وجهته لحمل الحديث وسماعه حتى من النساء، كما أننا نلاحظ أنه سمع من تلك المرأة التي قيل أن اسمها شُميسة، وهذا النمط من النساء العالمات بالحديث كثير عبر عصور الإسلام المختلفة[*].

وهكذا تعلمت المرأة المسلمة وعلَّمت وصنعت علماء عبر

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ١٥٣).
(٢) تاريخ واسط لجشل (١٢١).
(*) انظري كتابي نساء لها تاريخ «طبعة دار المعرفة» بيروت.

العصور وكانت بعون الله خير موجه وخير صانع لعلماء المسلمين، وكانت مبعث كل شيء من نفوس الأبناء، والأمر في ذلك ما قال رافع بن هُزيم: [الوافر]

فلو كنتم لِمُكْيِسَةٍ لكاست
وكَيْسُ الأمِ يُعرَفُ في البنينا



١١ ـ عمر بن عبد العزيز

حفيد الفاروق عمر بن الخطاب وخامس الخلفاء الراشدين أبو حفص عمر بن عبد العزيز وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وقد صاغت هذه الأم للأمة الإسلامية عمر بن عبد العزيز الذي قال عنه سفيان الثوري: «الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز» وقال: «لا أوافق رأي أحد أحب إليّ من عمر بن عبد العزيز لأنه كان إمام هدى»[١].

وقال أحمد بن حنبل: «يُروى في الحديث[*] أن الله تبارك وتعالى يبعث على رأس كل مائة عام من يصحح لهذه الأمة دينها، فنظرنا في المائة الأولى فإذا هو عمر بن عبد العزيز ونظرنا إلى المائة الثانية فإذا هو الشافعي»[٢].

---

(١) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص٧٣.

(*) أخرجه أبو داود في السنن رقم (٤٢٩١) باب ما يُذكر في قرن المائة وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٢٢) والبيهقي في معرفة السر والآثار (ص٥٢) والخطيب في تاريخه (٩/ ٦١) وانظر الصحيحة للشيخ الألباني (٥٩٩) (١/ ١٥٠).

(٢) صفة الصفوة (٢/ ٨٠) تاريخ بغداد (٢/ ٦٢) البداية والنهاية (١٠/ ٢٥٣).

وقال عنه أيضاً: «إذا رأيت الرجل يحب عمر بن عبد العزيز ويذكر محاسنه وينشرها فاعلم أن من وراء ذلك خيراً إن شاء الله»[١].

وقد روى عمر بن عبد العزيز عن خلق كثير من كبار التابعين منهم: سعيد بن المسيب وعبد الله بن إبراهيم بن فارط وسالم وأبي سلمة وغيرهم[٢].

وأسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وأنس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب والسائب بن يزيد وغيرهم[٣].

وعن عبد السلام مولى مسلمة بن عبد الملك قال: «بكى عمر بن عبد العزيز فبكت فاطمة فبكى أهل الدار لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء، فلما تجلَّت عنهم العبرة قالت له فاطمة: بأبي أنت يا أمير المؤمنين مم بكيت؟ قال: ذكرت منصرف القوم من بين يدي الله ﷻ فريق في الجنة وفريق في السعير»[٤].

وقال: «كل يومٍ أخافه دون يوم القيامة فلا وقاني الله شره»[٥].

---

(١) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ص٧٤.
(٢) صفة الصفوة (٢/ ٨٩).
(٣) المصدر السابق.
(٤) صفة الصفوة (٢/ ٨٥).
(٥) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص١٣٨.

وقال مالك بن دينار: «لما وُلّي عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ قالت رعاة الشاة في ذروة الجبال: من هذا الخليفة الصالح الذي قد قام على الناس؟ فقيل لهم: وما علمكم بذلك؟ قالوا: إنا إذا قام على الناس خليفة صالح كفَّت الذئاب والأُسْدُ عن شأننا»[1].

وقد كان من أعلم الناس بأمور سياسة الخلق، فقد قال له ابنه عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز يا أبةِ ما يمنعك أن تمضي لما تريد من العدل؟ فوالله ما كنت أباً لي لوْ غَلَتْ بي وبك القدور في ذلك، قال: يا بُني إنما أروض الناس رياضة الصعب أن لأريد أن أحيي الأمور من العدل فأوخز ذلك حتى أخرج معه طمعاً من طمع الدنيا فينفروا لهذه ويسكنوا لهذه»[2].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما طاوعني الناس على ما أردت من الحق حتى بسطت لهم من الدنيا شيئاً»[2].

وهكذا كان عمر بن عبد العزيز خير إمامٍ وحاكم عرفته الأمة الإسلامية بعد خلفاء رسول الله ﷺ، جَدَّد الله به شباب الإسلام ونشر به العدل في ربوع المعمورة وشهد له علماء الإسلام بالفضل مثل ما تقدم من شهادة الثوري وأحمد بن حنبل.

---

(١) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ص٩٧.
(٢) المصدر السابق.

ولقد كان ذلك العالم الحاكم العادل صنعه نسائية فقد ربته أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، ويكفيها فخراً أنها من نسل الفاروق وأنها ابنة بائعة اللبن التي خلَّد التاريخ ذكرها(*). وقد كانت هذه الأم تنزع به إلى أخلاق جدِّه الفاروق فصنعت بتربيتها وتوجيهها عالِماً عابداً وحاكماً عادلاً بكاه عند موت أهل الذِمة كما بكاه المسلمون، إنه عمر بن عبد العزيز الذي قال فيه إمبراطور الروم (ليو الثالث) بعد أن بكاه بكاءاً مراً قال: «مات والله ملك عادل ليس لعدله مثيل والله لقد كان حَرِيّاً أن يعجل به فأهل الخير لا يلبثون مع أهل الشر إلا قليلاً»[1].

ولله در من قال فيه: [الكامل]

إن الذي بعث النبي محمداً
جعل الخلافة في الإمام العادل
قد نال عدلك من أقام بأرضنا
فإليك حاجة كل وفدٍ راحل

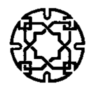
ولله در من قال فيه: [البسيط]

أقول لمّا نعى الناعون لي عُمرا
لا يبعدون قوام العدل والدين

(*) انظري ترجمتها في كتابي (نساء لها تاريخ) طبعة دار المعرفة بيروت.
(١) ترطيب الأفواه لسيد حسين عفاني (١/ ١٨٤).

لـم تـلـهـه عـمـره عـيـن يـفـجـرهـا
ولا الـنـخـيـل ولا ركـض الـبـراذيـن
قـد غـادر الـقـوم فـي الـذي لـحـدوا
بـديـر سـمـعـان قـسـطـاس الـمـوازيـن

رحم الله عمر بن عبد العزيز ورحم الله أمه التي صنعت للأمة خير حاكم عرفته، فكانت وبجداره من «النساء الذين صنعن عُلماء».



١٢ ــ البخاري(*)

هو محمد بن إسماعيل البخاري إمام المحدثين وصاحب أصح كتاب بعد كتاب رب العالمين وحافظ سنة خير الخلق سيدنا محمدﷺ.

قال عَبدان: «ما رأيتُ بعيني شاباً أبصر من هذا وأشار إلى محمد بن إسماعيل»(١).

وعن حاشد بن إسماعيل قال: «لما قَدِم محمد بن إسماعيل على سليمان بن حرب نظر إليه سليمان فقال هذا يكون له يوماً صوتٌ»(٢).

وعن عمرو بن عليٍّ الفلّاس قال: «حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث»(٣).

(*) تاريخ بغداد (٢/ ٢٤)، تهذيب الكمال (١١٧١) ومقدمة الفتح، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٩١) شذرات الذهب (٢/ ١٣٤).
(١) تاريخ بغداد (٢/ ٢٤).
(٢) مقدمة الفتح ص٤٨٢.
(٣) تهذيب الكمال (١١٧١)، تاريخ بغداد (٢/ ١٨).

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: «ما أخرجت خُراسان مثل محمد بن إسماعيل»[١].

وقال حاشد بن إسماعيل: «كنت بالبصرةِ فسمعتُ قُدُوم محمد بن إسماعيل فلما قدِم قال بُندار: اليوم دخل سيدُ الفقهاء»[٢]. وعن محمد بن بشَّار قال: «لم يدخل البصرة رجل أعلم بالحديث من أخينا أبي عبد الله قال: فلما أراد الخروج ودّعه محمد بن بشار وقال: يا أبا عبد الله موعدنا الحشر لا نلتقي بعدُ»[٣].

وعن يعقوب بن إبراهيم الدَّوْرَقِيَّ يقول: «محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة»[٤].

وعن أبي جعفر المُسْنِدي قال: «حُفَّاظ زماننا ثلاثة محمد بن إسماعيل وحاشد بن إسماعيل ويحيى بن سهل»[٥].

وعن أبي الطيب حاتم من منصور الكِسِّي قال: «محمد بن إسماعيل آيةٌ من آيات الله في بصره ونفاذه من العلم»[٦].

وقال حاشد بن إسماعيل سمعت قتيبة يقول: «مَثَلُ

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ٢١) وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢١).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢٢).
(٣) المصدر السابق (١٢/ ٤٢٣).
(٤) مقدمة الفتح ٤٨٣.
(٥) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢٤).
(٦) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢٧).

محمدُ بن إسماعيل عند أصحابه في صدقه وورعه كما كان عُمر في الصحابة»[١].

وقال محمد بن يوسف الهمذاني: «كنا عند قتيبة بن سعيد فجاء رجل شعراني يُقال له أبو يعقوب فسأله عن محمد بن إسماعيل، فنكس رأسه ثم رفعه إلى السماء فقال: يا هؤلاء نظرتُ في الحديث ونظرت في الرأي وجالست الفقهاء والزُهاد والعُباد ما رأيت منذ عَقِلْتُ مثل محمد بن إسماعيل»[٢].

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة: «ما رأيتُ تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ وأحفظ له من محمد بن إسماعيل»[٣].

قال مُسَبِّح بن سعيد: «كان محمد بن إسماعيل يختم في رمضان في النهار كل يوم ختمه ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليالٍ بختمه»[٤].

وقال سليم بن مجاهد: «ما رأيتُ بعيني منذ ستين سنة أفقه ولا أورع ولا أزهد في الدنيا من محمد بن إسماعيل».

وقد صنف البخاري العديد من المصنفات ولكن رفع الله ذكره بتأليفه (صحيح البخاري) الذي جمع فيه أصح الأحاديث

---

(١) مقدمة الفتح (٤٨٣).
(٢) مقدمة الفتح (٤٨٣).
(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٧٠/ ١).
(٤) تاريخ بغداد (٢/ ١٢) وتهذيب الكمال (١١٧٠).

الواردة عن رسول الله ﷺ، وقد أثنى عليه الشعراء فقال أحدهم: [المتقارب]

صحيح البُخاريّ لو أنصفُوهُ
لما خُطَّ إلاَّ بماءِ الذَّهبْ
هو الفرقُ بين الهُدى والعَمى
هو السُّدُّ بين الفَتَى والعَطَبْ
أسانيدُ مثلُ نجوم السَّمَا
أمام مُتونٍ كمثلِ الشُهُب
به قَامَ ميزانُ دينِ الرسولْ
ودَانَ به العُجْم بعد العَرَبْ
حِجابٌ من النَّارِ لا شكَّ فيه
تَمَيَّز بين الرِّضى والغَضَبْ
وسِتْرٌ رقيقٌ إلى المصطفى
ونصٌّ مبينٌ لكشف الرِّيَبْ
فيا عالِماً أجمع العالِمون
على فضل رُتْبَتِه في الرِّيَبْ
سبقت الأئمة فيما جَمعَت
وفُزْتَ على رغمهم بالقَصَبْ
نفيت الضعيفَ مِن النَّاقلين
ومَنْ كان مُتَّهَماً بالكذب
وأبرزت في حُسن ترتيبه
وتبويبه عَجباً للعجب

فأعطاك مولاك ما تشتهيه
وأجزل حَظَّك فيما وَهَبْ[(١)]

ومن أقوال هذا العالم الجليل، قال بكر بن منير: «سمعت أبا عبد الله البخاري يقول أرجو أن ألقى الله ولا يُحاسبني أني أغتبت أحداً»[(٢)].

وقال: «ما أردت أن أتكلم بكلام فيه ذكر الدنيا إلا بدأت بحمدِ الله والثناء عليه»[(٣)].

وروى الخطيب بإسناده عن الفِرَبْرِيِّ قال: «رأيت النبيﷺ في النوم فقال لي أين تُريد؟ فقلت: أريد محمد بن إسماعيل البخاري فقال: اقْرَأْهُ مني السلام»[(٤)].

ذلك العالم الجليل من الذي صنعته؟ إنها أمه المسلمة التقية فقد نشأ في حجر أمه يتيماً، وكانت عابدة صاحبة كرامات ومما جاء في كرامتها ـ رحمها الله ـ ما رواه اللالكائي في شرح السنة في باب كرامات الأولياء منه: «أن محمد بن إسماعيل ذهبت عيناه في صغره فرأت والدته الخليل إبراهيم في المنام فقال لها: يا هذه قد ردّ الله على ابنك بصره بكثرة دعائك قال: فأصبح وقد رد لله عليه بصره»[(٥)].

---

(١) الأبيات في تاريخ ابن كثير (١١/ ٢٧، ٢٨).
(٢) تاريخ بغداد (٢/ ١٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٤٥).
(٤) تاريخ بغداد (٢/ ١٠) تهذيب الكمال (١١٧٠) مقدمة الفتح (٤٩٠).
(٥) مقدمة الفتح (٤٨٠).

وهكذا ربته هذه المسلمة على حب الحديث وطلب العلم في صغِره ومما جاء في ذلك قال البخاري: «أُلهمت حفظ الحديث وأنا في الكُتَّاب... ولما طعنت في ثماني عشرة جعلت أُصنف في قضايا الصحابة والتابعين وأقوالهم»(١).

وهكذا كانت الأم المسلمة مُربية لأجيال متوالية من العلماء الذين قدَّر الله لهم أن تكفلهم نساء، ليؤكد التاريخ أن المرأة المسلمة قادرة دوماً وعبر كل العصور أن تكون موجهة ومعلمة وكافلة لعلماء ورجال وأبطال ينصرون السنة والإسلام في سيرتهم وفي أقوالهم وفي حياتهم رحم الله تلك الكوكبة من العلماء. الذين خلَّد التاريخ سيرتهم العطرة ونقش حروف أسمائهم بماء من ذهب يُضيء لنا بنوره وبريقه عبر العصور:

وصدق من قال في وصفهم: [الكامل]

فـي أولِ الأحـزابِ أيـضـاً ذكـرُهُـم
هُـم خـيـر خـلـقِ الله مـن إنـسـانِ
ولـوَاؤهـم بـيـد الـرسـول عِـصَـابَـةُ
الإسـلام أهـلُ الـعـلـمِ والإيـمـان
والـتـابـعـونَ لـهـم بـإحـسـانٍ عـلـى
طـبـقـاتـهـم فـي سـائـر الأزمـان
أهـلُ الـحـديـث جـمـيـعـهـمْ وأئـمـة
الـفـتـوى وأهـلُ حـقـائـقِ الـعِـرْفَـانِ

(١) تاريخ بغداد (٢/ ٧).

١٣ ـ محمد بن عبد الرحمن الأوقص

هو قاضي مكة محمد بن عبد الرحمن الأوقص(*)، وقد كان فقيهاً عالماً وكان عنقه داخلاً في يده، وكان منكباه خارجين كأنهما زجان(**)، وكان هذا العيب والنقص في الخَلْقَة مما دفعه إلى أن يبحث عن الشرف والفضل فطلب العلم وكان ذلك بنصيحة أم عاقلة.

روى ابن عساكر عن أبي إسحاق الحربي قال:

«كان محمد بن عبد الرحمن الأوقص عنقه داخلاً في يده وكان منكباه خارجين كأنهما زجان فقالت له أمه: «يا بني لا تكون في قوم إلا كنت المضحوك منه المسخور به فعليك بطلب العلم فإنه يرفعك. قال: فطلب العلم فولى قضاء مكة عشرين سنة، قال: وكان الخصم إذا جلس بين يديه يرعد حتى يقوم»[1].

(*) الأوقص: الذي قصرت عنقه، لسان العرب (١٠٨/٧).
(**) الزج: الحديدة التي في أسفل الرمح.
(١) تاريخ دمشق (١٠٦/٥٤) والفقيه والمتفقه للخطيب ص١٤٠، ١٤١.

قال يعقوب بن سفيان. «وسمعت شيوخ مكة يقولون لم يك في مكة مثل الأوقص»[١].

وقال بعض أهل مكة: «إن المهدي أمير المؤمنين حج سنة إحدى وستين ومائة فأمر بعمارة المسجد الحرام وأمر أن يُزاد في أعلاه ويُشترى ما كان في ذلك الموضع من الدور، وخلَّف الأموال عند الأوقص وهو يومئذٍ قاضي مكة، فاشترى الأوقص تلك الدور وما كان منها صدقة عزل ثمنه فاشترى لأهل الصدقة بثمن دورهم مساكن في فجاج مكة عوضاً من صدقاتهم»[٢].

وهكذا سجَّل التاريخ لتلك المرأة المسلمة العاقلة دورها الرائد في دفع ولدها لساحة العلم حتى يكمل ما به من نقص في الخَلق وصدقت حين قالت له: «عليك بالدين فإنه يُتم النقيصة ويرفع الخسيسة»[٣].

وعن ابن عباس قال: «كذاك هذا العلم يزيد الشريف شرفاً ويُجلس الملوك على الأسرة»[٤].

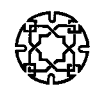
وصدق من قال: [الوافر]

رأيتُ العلمَ صَاحِبُهُ شريفٌ
وإن ولَدتهُ آباءٌ لِئَامُ

(١) أخبار مكة (٢/ ١٦٥).
(٢) المصدر السابق.
(٣) الفقيه والمتفقه ص١٤١.
(٤) المصدر السابق ص١٤١.

وَلـيـسَ يَـزالُ يَـرْفـعُـهُ إلـى أن
يُـعَـظَّـم قَـدْرهُ الـقـومُ الـكـرامُ

فرحم الله أم الأوقص حين دفعته لطلب العلم لكي ينال الفضل والرفعة في الدنيا والآخرة، فكانت عاقلة حقاً وكانت بذلك جديرة أن تكون من خير النساء «نساء صنعن علماء».



١٤ ـ أبي عبد الرحمن السُّلميّ(*)

هو أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم الأزدي، من أزدشَنُوءة وقد عُرِفَ بالسُّلَميّ وقد جاءته هذه النسبة من قِبَل جَدِّه لأمه أبي عمرو إسماعيل بن نُجَيْد السُّلَميّ، وكان من أكبر مشايخ وقته يسمع الحديث ورواه وأسنده توفي سنة ٣٦٦[١].

ولد أبو عبد الرحمن بنيسابور يوم الثلاثاء العاشر من جُمادى الآخر سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، وكان والده شيخاً ورعاً زاهداً دائم المجاهدة، وأمه بنت الشيخ الكبير أبو عمرو بن نُجَيد[٢].

قال عنه الذهبي: «الإمام الحافظ المحدث شيخ خراسان وكبير الصوفية أبو عبد الرحمن النيسابوري الصوفي صاحب التصانيف»[٣].

(*) تاريخ بغداد (٢/ ٢٤٨)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٤٧)، المنتظم ٢٥٧هـ (٨/ ٦)، طبقات الشافعية (٤/ ١٤٠).

(١) طبقات الصوفية ص٤٥٤.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٤٧)، المنتظم ٢٥٧هـ (٨/ ٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣).

ذكره الخطيب البغدادي فقال: «وكان صاحب حديث مجوداً جمع شيوخاً وتراجم وأبواباً وعمل دويرة للصوفية وصنف سنناً وتفسيراً»(١).

وكان تفسيره محل إعجاب الكثيرين من العلماء، قال السّلميّ: «لما دخلنا بغداد قال لي الشيخ أبو حامد الإسفرايني: أريد أن أنظر في [حقائق التفسير] فبعث به إليه فنظر فيه وقال أريد أن أسمعه ووضعوا لي منبراً»(٢).

وقد أخذ أبو عبد الرحمن في السَّماع والكتابة عن شيوخه مبكراً، فقد ذكروا أنه كتب بخطه عن أبي بكر الصِّيغيّ سنة ٣٣٣ أي بعد مولده بثماني سنوات، ثم صَرَفَ همته إلى دراسة الحديث والتصوف فلقي شيوخ بنيسابور ثم رحل في الطلب إلى العراق والريّ وهَمَذان ومَرْو والحجاز(٣). ثم ابتدأ التصنيف سنة نيف وخمسين وثلاث مئة وصنَّف في علوم القوم سبع مئة جزء في أحاديث النبيﷺ من جميع الأبواب والمشايخ، وغير ذلك ثلاث مئة جزء وكانت له تصانيفه مقبولة(٤).

وقد روى عن الأصم وتتلمذ على طائفة من شيوخ عصره

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ٢٤٨)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٥٠).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٤٨).
(٣) مقدمة محقق طبقات الصوفية ص٢٩.
(٤) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٤٧).

ومن أبرزهم: الحافظ الكبير أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني وله معه سؤالات جمعها من ألفاظه، قال الذهبي: «وللسُّلميّ سؤالات للدارقطني عن أحوال المشايخ الرواة سؤال عارف»(١). ومن شيوخه أيضاً أبو بكر القفَّال الشاشي الإمام الكبير محمد بن علي بن إسماعيل وكان شيخ الشافعية في وقته»(٢).

ثم روى ـ مع تقدمه ـ عن عبد الواحد بن أحمد الهاشميّ عن الحافظ الكبير أبي نُعيم الأصبهاني صاحب «حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء»(٣).

وكان أبو عبد الرحمن يقول: «أستاذي في التصوف الجنيد، والفقه إبراهيم الحربي، وفي النحو ثعلب»(٤).

وكان كثير الرواية عن جده إسماعيل بن نجيد وقد رَوَى عن بكر بن خلف عن أبي عبد الرحمن السّلميّ قال: سمعت جدي إسماعيل بن نجيد يقول: «من لم تهذبك رؤيته فاعلم أنه غير مهذب»(٥).

وكما كان كثير الشيوخ كان كثير التلاميذ، فقد أخذ عنه

---

(١) المصدر السابق.
(٢) طبقات الشافعية (٣/ ٢٠١).
(٣) طبقات الصوفية ص٢٦٦.
(٤) المنتظم من ٢٥٧هـ (٦/ ٢٧٣).
(٥) المنتظم من ٢٥٧هـ (٧/ ٨٤).

العلم ورواه كثير من الناس على رأسهم الحافظ أبو بكر البيهقي صاحب «السنن» و«دلائل النبوة» و«مناقب الشافعي» وغيرها. وأبو محمد الجويني وهو الفقيه الشافعي الكبير والد إمام الحرمين الجُوَيْنِي وأبو القاسم القشيري صاحب «الرسالة القشيرية» و«الحاكم النيسابوري صاحب المستدرك على الصحيحين» و«تاريخ نيسابور»[١].

وقال عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي عن السُّلَميّ: «شيخ الطريقة في وقته الموفق في جميع علوم الحقائق ومعرفة طريق التصوف وصاحب التصانيف المشهورة العجيبة، وَرَثَ التصوف من أبيه وجده وجمع من الكتب ما لم يسبق إلى ترتيبه حتى بلغ فهرس كتبه المئة أو أكثر حَدَّث أكثر، من أربعين سنة قراءة وإملاء وكتب الحديث بنيسابور ومَرْو والعراق والحجاز»[٢].

وقال الخَشَّاب: «كان مَرْضِياً عند الخاص والعام، والموافق والمخالف والسلطان والرعية، في بلده وفي سائر بلاد المسلمين، ومضى إلى الله كذلك وحبب تصانيفه إلى الناس وبيعت بأغلى الأثمان»[٣].

ومن أقوال أبو عبد الرحمن السُّلميّ: «الذكر أتم من الفكر لأن الحق يوصف بالذكر ولا يوصف بالفكر»[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٤٩)، طبقات الشافعية (٤/ ١٤٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٤٩).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٤٨).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٥٠).

وقال: «أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية أعذار الخلق والدوام على الأوراد»(١).

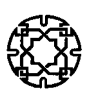
توفي أبو عبد الرحمن بنيسابور يوم الأحد ثالث شعبان سنة اثنتي عشرة وأربع مئة، وقيل في رجب وكانت جنازته مشهورة(٢).

هذا العالم الجليل الذي أثرى بتصانيفه المكتبة الإسلامية من الذي دأب على صنعة وتأديبه؟ إنها الأم. فقد وَهب الله للسّلميّ إلى جانب الأب العالم الزاهد أمّا ناصحة عالمة أنفقت على ولدها الكثير من الأموال التي ورثتها عند أبيها قال السُّلَمِيّ: «لما توفي جدي أبو عمرو خلَّف ثلاثة أسهم في قرية قيمتها ثلاثة آلاف دينار، وكانوا يتوارثون ذلك عن جده أحمد أحمد بن يوسف السُّلَمِيّ، وكذلك خلَّف أيضاً ضَياعاً ومتاعاً ولم يكن له وارث غير والدتي. وكان على التركات رجلٌ مُتسلط فكان من صنع الله أنه لم يأخذ من ذلك شيئاً وسلَّم إليّ الكل، فلما تهيأ أبو القاسم النَّصرآبادي للحج استأذنت أمّي في الحج فبِعت سهماً بألف دينار وخرجت سنة ستة وستين وثلاثمائة فقالت أمي: «توجهت إلى بيت الله فلا يكتبن عليك حافظاك شيئاً تستحي منه غداً»(٣).

(١) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٤٩).
(٢) طبقات الشافعية (٤/ ١٤٤)، وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٥٢).
(٣) تاريخ بغداد (٢/ ٢٤٨)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٤٧).

فتأملي يا أختاه مقولة تلك الأم الناصحة العالمة التي سخَّرت مالها وجهدها لصناعة عالم رباني عابد زاهد، ملأت شهرته الأجواء وأحبه الناس في كل مكان في عصره ـ كما قال الخَشَّاب ـ فهل تجتهدين أنت مع أولادك ليخرج من بين يديك عالماً فيكون هو وعلمه وعمله في ميزان حسناتك، وعليك بملازمة النصح والإرشاد له بمثل هذه الكلمات الواعية التي سطَّرها لنا العلماء وسطَّرها التاريخ في صفحاته لتلك الأم الصالحة وصدق من قال: [الكامل]

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعباً طيب الأعراق
الأم روض إن تعهده الحيا
بالري أورق أيما إيراقِ
الأم أستاذ الأساتذة الأُلِي
شغلتْ مآثرُهم مدى الآفاق



١٥ ـ عبد القادر الفاسي الحنبلي(*)

هو عبد القادر بن عبد اللطيف الحسيني الفاسي الأصل المكي الحنبلي.

ولد في السادس عشر من رمضان سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة بمكة، ومات أبوه وهو ابن إحدى عشر سنة، وأمه مستولدة لأبيه حبشية اسمها تفاحة، وقد حفظ هذا العالم القرآن في صغره وحفظ جانباً من المحرر لابن عبد الهادي وجميع الشاطبية والكافية لابن الحاجب، ومختصر الأصلي والتلخيص، وسمع على أبي الفتح المراغي صحيح البخاري وبعض سنن النسائي وجميع العلل التي بآخر الترمذي.

وختم مسند عَبْد بن حميد وغير ذلك وأجاز له خلق منهم أبوه وزينب ابنه اليافعي وسارة ابنة جُماعة وابن الفُرات والزركشي.

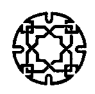
وهكذا ظهر دور المرأة المسلمة في صناعة ذلك العالم فقد تربى يتيماً ولم يترك أبوه له شيئاً.

(*) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (٢/ ١٩٣).

كما تلقى العلم وتتلمذ على يد عالمتين هما زينب ابنة اليافعي وسارة ابنة جُماعة.

وهذا تصنع المرأة المسلمة العلماء وتنشر العلم وتعلمه للرجال والنساء.

وقد توفي الإمام عبد القادر يوم الخميس ليلة النصف من شعبان سنة خمس وتسعين وثمانمائة ودفن بالبقيع عند قبر أمه[١].



(١) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (٢/ ١٩٣).

١٦ ـ عبد الرحمن بن عمر الحبيشي(*)

هو العلامة الصالح الفقيه وجيه الدين عبد الرحمن بن عمر الحبيشي من أهل الحُرف[١] في مخلاف[٢] من وصاب الأعلى[٣].

كان دوحة علم وذكاء أصلها ثابت وفرعها في السماء، كَسَتْهُ المعارف جلابيبها ونال من الفضل والعلم الكثير وهو أحد مشاهير العلماء في اليمن.

اشتغل في صباه بالشعر واللغة واشتهر بالفصاحة والبلاغة فكان يُنشىء الشعر العجيب وهو حدث السن، ثم اشتغل بالفقه فقرأ على جماعة من الشيوخ منهم الفقيه عفيف الدين عبد الله بن

(*) طبقات صلحاء اليمن لعبد الوهاب السكسكي اليمني (١/ ٢٧ ـ ٢٩).

(١) الحُرْف بالضم ثم السكون والوفاء وهو رستاق في نواحي ـ الأنبار، والحُرْف أيضاً آراه سود مرتفعات في بني سليم [معجم البلدان (٢/ ٢٤٣)].

(٢) مِخلاف: هو الكورة أو الإقليم.

(٣) وصاب: اسم جبل يُحاذي زبيد ظاهراً وفيه عدة قرى وحصون في اليمن [معجم البلدان (٥/ ٣٧٨)].

محمد بن أسعد، والفقيه تقي الدين عمر بن عبد الله بن صالح، وفي الحديث على الإمام بُرهان الدين إبراهيم بن عمر العلوي. وقد درّس في المدرسة المؤيدية في مدينة «تَعِزَّ»[١] فأقام بها أياماً ثم تركها ورحل إلى بلده فأقام بها يدرس ويُفتى ثم تولى القضاء فكان رحمه الله إماماً محققاً للفنون كلها كالتفسير والحديث والنحو واللغة والأصول والفروع وسائر العلوم. وكان صواماً قواماً ورعاً مجتهداً ألف كتباً كثيرة حسنة منها كتاب (بُلَغَة الأديب إلى معرفة الغريب) ومنها كتاب (الاعتبار لذوي الأبصار) ومنها كتاب (الجدل بين اللبن والعسل) ومنها كتاب (المعتقد لذوي الألباب) (والمعتمد في الآداب) وهو نظم قدر ألف وأربعمائة بيت تقريباً ومنها كتاب (زهر البساتين في الدعاء على عدو الدين) ومنها كتاب (النظم والتبيان) وقد نَظَم به كتاب التنبيه في الفقه ولم يكمله، وقيل أكمله. وله غير ذلك من الخطب والآداب وله مناقب وفضائل وشعر رائع، وقد توفي رحمه الله ليلة السبت الثامن من شهر جمادى الآخر سنة ثمانين وسبعمائة رحمه الله تعالى.

وقد ورد في ترجمة هذا العلامة أنه نشأ يتيماً في حجر أمه[٢].

وقد قامت تلك الأم المسلمة بتوجيهه وتعليمه فكانت من

---

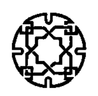
(١) «تَعِزّ» بالفتح ثم الكسر والزاي المشددة قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورة [معجم البلدان ٢/ ٣٤].

(٢) طبقات صلحاء اليمن (١/ ٢٧).

النساء اللاتي لم يذكرهن التاريخ بأسمائهن، ولكنها ذُكرت بالفضل في تربية أولادها تربية صالحة تجعل منهم علماء ربانيين يملأون أرجاء الدنيا بالعلم النافع.

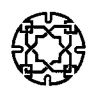
وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ﴾ [الأعراف: ٥٨].

فالأم الصالحة كالأرض الطيبة التي ينمو فيها النبات الصالح الذي ينفع الله به عباده، وكذلك الطفل اليتيم حين تربيه أمه فهو كالنبات أو الزهرة التي تفوح بيسيرة تلك الأم الصالحة التي كانت من النساء اللاتي صنعن علماء.



من العلماء المعاصرين

لقد علَّم الإسلام المرأة المسلمة أن تكون عبر العصور والأزمان قوة فعالة تنفع نفسها ودينها، ولقد قدمت إليك ـ أختي المسلمة ـ نماذج من العلماء السابقين الذين صنعتهم نساء مؤمنات، وفي هذا الجزء من الرسالة أسوق لك نماذج لعلماء معاصرين قريبين من عصرنا ظهرت وتجلت في شخصياتهم دور المرأة المسلمة. ومن العجب أن من قمن على تربيتهم لم يكن أمهاتهم بل نساء مسلمات قيّدهن الله لرعاية هؤلاء العلماء. ومن هؤلاء العلماء:



١ ــ أحمد تيمور باشا

أحد الأعلام الذين وهبوا حياتهم للعلم بحثاً ودراسة واستقصاءً، والمُطَّلع على خزانة المكتبة التيمورية يجد نفسه أمام شخصية علمية فذة كرست نفسها للبحث والدراسة وخدمة الإسلام ولغة الإسلام. وقد ولد أحمد تيمور في أسرة ثرية في الموصل سنة ١٢٨٨هـ وتلقى مبادىء العلوم في مدرسة فرنسية تُدعى مرسيل بالقاهرة، ولكنه يقول عن تلك المدرسة: «إني كنت قد تخرجت في المدارس بعد تلقي ما يُتَلقى فيها من العلوم المعروفة وأنا في سن العشرين، وقد علق بالعقيدة شيء من آثار التربية في هذه المدارس، إلا أني كنت مولعاً من الصغر بالإسلام ومحاسنه والمطالعة في السيرة النبوية ومناقب الخلفاء، فكان ينشرح صدري لأشياء وينقبض لأشياء تعرض فيها شبهات. فصرت أتردد على كثير من كبار علماء الأزهر وعلى رأسهم الشيخ (حسن الطويل) الذي تعلمت منه الكثير»[1].

---

(١) أحمد تيمور باشا ترجمة لمحمد بن إبراهيم الشيباني ص١٠، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق.

ومما قيل في أحمد تيمور:

قال محب الدين الخطيب: «كان رحمه الله سلفي العقيدة معتدلاً في كل أموره بعيداً عن الغلو محترماً لرجال السلف»(١).

وقد قضى أحمد تيمور حياته كلها للعلم وبذل ماله في سبيل العلم، فليس في حاجة إلى أن نذكر مكانته في الأدب أو العلم أو المعرفة باللغة العربية، فقد ألف في شتى المجالات ومن مؤلفاته ما يتعلق باللغة مثل (أسرار العربية) ومنها ما يتعلق بالأدب مثل (علي بن أبي طالب شعره وحكمه) ومنها ما يتعلق بالدين مثل (الآثار النبوية) وغيرها من المؤلفات التي ضمتها المكتبة التيمورية، ويكفي تلك المكتبة فخراً أنها كانت ثالثة مكتبتين هما دار الكتب المصرية والمكتبة الأزهرية بل قد تمتاز بمجموعة من المخطوطات القيمة ليست في أُختيها. يقول الأستاذ أحمد ربيع المصري السكرتير العام لنشر المؤلفات التيمورية: «استقبلت مؤلفات العلّامة المحقق أحمد تيمور باشا في جميع الدوائر العلمية والأدبية في مصر وجميع الأقطار العربية بكل مظاهر الحفاوة والتقدير والرضا لأنها سدت ثغرات شتى في المكتبة العربية كانت في أشد الحاجة إلى استكمالها»(٢).

وقد كان رحمه الله شديد الاعتزاز بالإسلام وأخلاقه. يقول الأستاذ أحمد ربيع المصري: «... ومن ذلك أنه كان لا

(١) المصدر السابق ص١٣.
(٢) أحمد تيمور باشا لمحمد بن إبراهيم الشيباني ص٣٢.

يؤرخ تحاويله المالية ـ الشيكات ـ إلاّ بالتاريخ الهجري وحده دون سواه فرضي منه ذلك بنك «الكريدي ليونيه» الذي كان يتعامل معه ولم يعترض عليه»[١].

ويقول عن نفسه: «أنا عضو في جامعة المسلمين فلا أنتقل منها إلى ما يخالفها فضلاً عن ذلك فإني ولدت عربي اللسان وتأدبت بآداب القرآن».

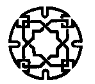
وقد ظهر اهتمامه بدينه ولغة الإسلام في تشجيعه لكل دعوة تدافع عن الإسلام ولغة الإسلام، وصده لكل حركة تنال من الدين أو لغته، فقد كان من المعاديين لحركة الكماليين [نسبة إلى كمال أتاتورك أحد معاول هدم الخلافة الإسلامية] كما أنه شارك في إنشاء جمعية الشبان المسلمين مع محب الدين الخطيب والشيخ الخضر حسين شيخ الأزهر تلك الجمعية التي تعمل على خدمة الإسلام ونشر تعاليمه والدفاع عنها. وقد مات ذلك العلم بعد أن خلّف وراءه مكتبة عظيمة وبعد أن قام بجهود كثيرة لخدمة الإسلام ولغته، ومما قيل في رثائه: [الخفيف]

مَرَّ تيمور كريماً ومضى
لاحقاً بالسالفين الصالحين
عاش لم تخدعه دنياه وقد
فاز بالقسطين من دنيا ودين

(١) المصدر السابق ص١٢.

هذا العلم الذي قدمته من خلال تلك السطور لعبت المرأة المسلمة أكبر الأثر في تكوينه، فقد توفى أبوه وعمره ثلاثة أشهر فربته أخته (عائشة التيمورية) وهذه المرأة قد سبقت أحمد تيمور إلى مجد أدبي خالد ولها أثرها في الشعر العربي والتركي والفارسي، ولقد غرست فيه تلك الأخت حب العلم وهداه الله لحب الإسلام ولغته فعاش حياته لخدمتهما والدفاع عنهما حتى قال من رثاه:

رُزْء العروبة في أبرّ حُماتها
تيمور غير بقية الأرزاء
رجلٌ به خُتم الرجال فهات لي
خلقاً له يغنى أقل غناء(*)



(*) الأبيات من بحر الكامل.

٢ ـ الشيخ عبد الرحمن بن سعدى

هو العالم الجليل والمحدث الداعية شيخ الشيخ بن عثيمين رحمه الله، علامة القصيم المحقق المدقق عبد الرحمن بن ناصر آل سعدى، يُكنى بأبي عبد الله وقد ولد في منطقة عُنيزة سنة ١٣٠٧هـ بالمملكة العربية السعودية.

وقد نشأ الشيخ ابن سعدى نشأة صالحة وتربى تربية حسنة وحفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز الثانية عشرة من عمره، وقد أنار له كتاب الله طريقه فطلب العلم حتى صار علماً من الأعلام.

يقول عنه الشيخ ابن باز رحمه الله: «كان رحمه الله كثير الفقه والعناية بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم، وكان يُرجح ما قام عليه الدليل وكان قليل الكلام إلا فيما يرتب عليه فائدة. جالسته غير مرة في مكة والرياض، وكان كلامه قليلاً إلا في مسائل العلم، وكان متواضعاً حَسُن الخلق ومن قرأ كتبه عرف فضله وعلمه وعنايته بالدليل فرحمه الله رحمة واسعة»[1].

---

(١) صفحات من حياة علّامة القصيم ص٩٧ د/ عبد الله الطيار.

وقال الشيخ عبد الرزاق عفيفي: «إن من قرأ مصنفاته وتتبع مؤلفاته وخالط وسبر حاله أيام حياته، عرف منه الدأب في خدمة العلم اطلاعاً وتعليماً ووقف منه على حسن السيرة وسماحة الخلق واستقامة الحال وإنصاف إخوانه وطُلّابه من نفسه، وطلب السلامة فيما يجر إلى شر أو يُفضي إلى نزاع أو شقاق»(١).

وقال محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تلميذ ابن سعدى: «إن الرجل قَلّ أن يوجد مثله في عصره في عبادته وعلمه وأخلاقه حيث كان يُعامل كلاً من الصغير والكبير بحسب ما يليق بحاله، ويتفقد الفقراء فيوصل إليهم ما يسد حاجتهم بنفسه. وكان صبوراً على ما لم يلم به من أذى الناس، وكان يحب العذر ممن حصلت منه هفوة حيث يوجهها توجيهاً يحصل به عذر من هَفا»(٢).

وقال محمد حامد الفقي: «لقد عرفت الشيخ منذ أكثر من عشرين سنة فعرفت فيه العالم السلفي المدقق المحقق الذي يبحث عن الدليل الصادق وينقّب عن البرهان الوثيق فيمشي وراءه لا يلوي على شيء».

وقال: «... عرفت فيه العالم السلفي الذي فهم الإسلام الفهم الصادق، وعرفت فيه دعوته القوية الصادقة إلى الأخذ

(١) مقدمة كتاب حكم شارب الدخان لابن سعدى.
(٢) الشيخ عبد الرحمن بن سعدى وجهوده في توضيح العقيدة ص٥٩.

بكل أسباب الحياة العزيزة القوية الكريمة النقية»[١].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز الزامل: [الطويل]

دع عنك الهوى واذكر أخاً ثقةً
يدعو إلى العلم لم يقعد به الضجر
شمس العلوم ومن بالفضل منتصف
مفتاح خير إلى الطاعات مبتكر
بحرٌ من العلم نال العلمُ في صغرٍ
مع التقى حيث ذاك الفوز والظفر
بالفقه في الدين نال الخير أجمعه
والفقه في الدين غصنٌ كله ثمر

وهي أبيات من قصيدة طويلة في مدح الشيخ نظمها في حياته[٢].

وقال الشيخ القاضي في روضة الناظرين: «ولقد حدثني من أثق به بأن الشيخ سليمان المشعل وكان عالماً جليلاً وقاضياً مسدداً لما عَلِمَ بوفاة الشيخ قال: مات اليوم عالم نجد وقد طاب الموت بعد هذه الشخصية الفذة فانصدع ومات في ١٢ رجب بعد وفاة السعدي بتسعة عشر يوماً وكان من خواصه»[٣].

---

(١) سيرة الشيخ عبد الرحمن السعدي لمحمد حامد الفقي ص٣.
(٢) علماء نجد لبسام (٢/ ٤٢٨).
(٣) روضة الناظرين (١/ ٢٢٧).

وقال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام: «لقد كان للشيخ عبد الرحمن السعدي أثر كبير ودور بارز في تخريج أفواج كثيرة من طلبة العلم، حيث جلس للتدريس وإفادة الطلاب أكثر من نصف قرن من الزمان»[١].

وقد بذل هذا الشيخ حياته وأوقاته لخدمة العلم وعُرف منذ حداثة سنة برغبته القوية وحرصه الشديد على تحصيل العلم، فكان لا يصرفه عنه صارف ولا يشغله عالم، وكان متنوع الثقافة متنوع العطاء في مجال الحديث والفقه والتفسير والعقيدة وغيرها. وظهرت له العديد من المؤلفات أشهرها (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) وهو تفسير كامل للقرآن و(التوضيح والبيان لشجرة الإيمان) و(توضيح الكافية الشافية) وهو كتاب نظم فيه نونية ابن القيم الذي كان شديد الحب له هو وشيخه ابن تيمية وكتابه (القول السديد في مقاصد التوحيد) وغيرها من المؤلفات التي خلّدت اسمه في سجل العلماء العاملين الذين قيَّضهم الله لإرشاد الناس إلى الدين وخدمة الإسلام والمسلمين ومن أقواله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

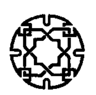
«العلم خيرٌ من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال، يصحبك في دورك الثلاث في الدنيا وفي البرزخ ويوم يقوم الأشهاد».

---

(١) الشيخ عبد الرحمن بن سعدى وجهوده في توضيح العقيدة ص٦٠، عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد.

وقال: «الجهل داء قاتل والعلم حياة ودواء نافع حاجة الناس إلى العلم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، مذاكرة العلم تسبيح والبحث عنه جهاد وتعلمه وتعليمه ودراسته توجب رضى ربّ العباد»(١).

هذا العالم الذي أوردت سيرته وأقواله في خلال سطور رسالتي والذي كان من العلماء الذين قيدهم الله لنشر دينه ومن العلماء الذين صنعتهم نساء، فقد نشأ يتيم الأبوين حيث توفيت أُمّه وله أربع سنوات وتوفي والده وله سبع سنوات فتوَلَّتْ تربيته زوجة والده فأحسنت القيام عليه وعطفت عليه وكفلته وأحبته أكثر من حبها لأولادها، فنشأ نشأة صالحة كريمة في ظل هذه المرأة المسلمة ولما شب صار في بيت أخيه حَمدَ. وهكذا قيَّد الله لهذا العالم زوجة والده لترعاه وتعينه على طلبه للعلم وتشجعه وتهيأ له البيئة الصالحة والنشأة الكريمة، وهكذا ظلت وستظل المرأة المسلمة تقف وراء العلماء لتصنع برعايتها وتحت عينيها رجال وعلماء صنعتهم نساء.



(١) الرياض الناضرة ص٦٩ ـ ٧٣.

٣ ـ منصور بن علي بن زين العابدين(*)

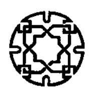
هو العلامة الفقيه المحدث الشيخ منصور بن علي بن زين العابدين المنوفي البصير الشافعي، ولد بمنف ونشأ بها يتيماً في حجر والدته وكان باراً بها، فكانت تدعو له فحفظ القرآن وعدة متون ثم ارتحل إلى القاهرة وجاور بالأزهر وتفقه بالشهابين البشبيشي والسندوبي، والشمس الشرنبابلي والزين منصور الطوخي، ولازم العلامة الشبراملسي في العلوم وأخذ عنه الحديث وجد واجتهد وتفنن وبرع في العلوم العقلية والنقلية. وكان إليه المنتهى في الحذق والذكاء وقوة الاستحضار لدقائق العلوم سريع الإدراك لعويصات المسائل على وجه الحق، نظم الموجهات وشرحها وانتفع به الفضلاء وتخرج عليه النبلاء وافتخرت بالأخذ عنه الأبناء على الآباء. توفي في الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين ومائة وألف وقد جاوز التسعين.

وهكذا ترعى الأم المسلمة ولدها ليصير عالماً يتلقى العلم عنه الكثيرون وينشر بعلمه سنة المصطفىﷺ وصدق من قال:

(*) عجائب الآثار (١/ ١٢٩).

[البسيط]

علمُ الحديثِ أجلُّ السُّؤْلِ والوطرِ
فاقطعْ به العيشَ تعرفُ لذة العمرِ
وانقل رحالكَ عن مغناك مرتحلاً
لكي تفوزَ بنقلِ العلمِ والأثرِ
ولا تقل عاقني شغلٌ فليس يُرى
في الترك للعلم عن عُذْرٍ لمعتذرِ
وأيُّ شُغل كمثلِ العلم تطلبهُ
ونَقلِ ما قد رووا عن سيد البشرِ



٤ ـ محمد الأمين الشنقيطي

هو الشيخ الإمام القدوة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي. صاحب كتاب «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» وهو من خير رجال القرن الرابع عشر في العلم والتقى والورع والزهد في الدنيا وبذل الجهد في نشر العلم والدأب الشديد على تحصيله. قال عنه الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية سابقاً وأحد كبار علمائها قال: «مُلِيء علماً من رأسه إلى أخمص قدميه».

وقال: «آية في العلم والقرآن واللغة وأشعار العرب».

وقال: «ما رأيت رجلاً أعقل منه»[(١)].

وقال عنه الشيخ ابن بازرحمه الله حين سأله الشيخ السديس عن الشيخ الشنقيطي قال: «أعرف عن الشيخ المذكور العلم الواسع بالتفسير واللغة العربية وأقوال أهل العلم في تفسير كتاب اللهﷻ والزهد والورع والتثبت في الأمر، ومن سمع حديثه حين يتكلم

---

(١) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي للشيخ عبد الرحمن السديس ص٢٢٣.

في التفسير يعجب كثيراً من سعة علمه واطلاعه وفصاحته وبلاغته ولا يمل سماع حديثه رحمه الله رحمة واسعة»[1]. وقد صحبه الشيخ ابن باز دهراً طويلاً ودرس على يديه الكثير من العلوم فكان من أكبر تلاميذه رحمه الله.

وقال عنه العلّامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله: «من حيث جمعه لكثير من العلوم ما رأيت مثله، كان حينما يلقي المحاضرة يذكرني بشدة حفظه واستحضاره للنصوص وبخاصة الآيات القرآنية، وكان رحمه الله متواضعاً وليس ككثير من المشايخ يحبون الأبهة والتعاظم فكان أصغر طالب يستطيع أن يتكلم معه وهذا من سمة أهل العلم والأدب»[2].

وقال عنه الشيخ حماد الأنصاري ـ وهو من كبار علماء الحديث في الجامعة الإسلامية ـ قال: «بارع في علوم كثيرة لا سيما في الوسائل: اللغة والأدب والنحو والتصريف والبلاغة والمنطق وأصول الفقه والفقه المالكي». وقد كان الشيخ حماد من تلاميذ الشيخ الذين صاحبوه واستفادوا منه السنوات العديدة حيث صاحبة حوالي سبعة عشر عاماً تقريباً، وقال عنه الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله: «لو كان في هذا الزمن أحد يستحق أن يُسمى شيخ الإسلام لكان هو»[3].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق ص٢٢٥.
(٣) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي للسديس ص٢٢٨.

وقال عنه الشيخ حماد الأنصاري أيضاً: «له حافظة نادرة قوية ويعتبر في وقته نادراً ولم يكن له منافس في تفسير القرآن بأنواعه الأربعة بالقرآن والسنة وأقوال السلف واللغة العربية وعنده في اللغة استحضار عديم النظير»(١).

وهكذا كان الشيخ من العلماء الربانيين الذين نشروا العلم ودرّسوه في الحرم المدني والجامعة الإسلامية، ونفع الله به وبعلمه ومؤلفاته الكثير من طُلّاب العلم. هذا العالم الذي درّس لعلماء من صنعته؟ إنها أمه فقد ولد في شنقيط ـ وهي دولة موريتانيا حالياً ـ ونشأ يتيماً حيث توفي والده وهو صغير كما قال عن نفسه: «توفي والدي وأنا صغير اقرأ في جزء عَمَّ وترك لي ثروة من الحيوان والمال وكانت سُكناي في بيت أخوالي(٢).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «ولما حفظت القرآن وأخذت الرسم العثماني وتفوّقت في على الأقران، عُنِيَتْ بي والدتي وأخوالي أشد العناية وعزموا على توجيهي للدراسة في بقية الفنون، فجهزتني والدتي بجملين أحدهما عليه مركبي وكتبي والآخر عليه نفقتي وزادي وصحبني خادم ومعه عدة بقرات وقد هيأت مركبي كأحسن ما يكون من مركب، وملابسي كأحسن ما تكون فرحاً بي وترغيباً لي في طلب العلم... وهكذا سلكت سبيل الطلب

(١) المصدر السابق ص٧.
(٢) نقلاً عن ترجمة الشيخ في (أضواء البيان) ج١٠ للشيخ عطية سالم.

والتحصيل»[١]. وهكذا دفعت هذه المرأة المسلمة ولدها إلى طلب العلم وصنعت بتوجيهها ومالها عالماً نشر علمه في كل ربوع الأرض في عصره وقال عنه علماء عصره أنه شيخ للإسلام[*].

وهكذا أختي المسلمة كانت المرأة المسلمة عبر كل العصور صانعة للعلماء، ولم تكن والدته فقط رحمها الله هي المرأة الوحيدة التي لعبت دوراً في صناعته كعالم، بل لقد تعلم على يد زوجة خاله قال: «أخذت عنها مبادىء النحو كـ«الآجرومية» وتمرينات ودروس واسعة في أنساب العرب وأيامهم والسيرة النبوية ونظم الغزوات لأحمد البدوي الشنقيطي وهو يزيد على خمس مئة بيت وشروحه لابن أخت المؤلف المعروف بـ(حماد) ونظم عمود النسب للمؤلف وهو يُعد بالآلاف»[٢].

تأملي معي أختي المسلمة ذلك العلم الغزير الذي تمتعت به تلك المرأة المسلمة والذي ساهمت به في تكوير عالماً قال عنه من رثاه: [البسيط]

نَعَى الأمين نُعاةٌ قد نَعَوْا عَلَما
بحراً خِضَمّاً بموج العِلم مُلْتَطِماً

(١) نقلاً عن ترجمة الشيخ في: أضواء البيان للشيخ عطية سالم (ج١٠).
(*) كما سبق ونقلت عن الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله.
(٢) ترجمة محمد الأمين الشنقيطي للسديس ص١٣.

أبكته أجيالُ علم حِينَ عُدَّ له
ريعُ الحَجُونِ مصيراً بعدما خُتِما
ما كان يرغب في السُّكْنَى بِذِي بَلَدٍ
غيرِ المدينةِ طابت مَسْكَن الكُرَما

ثم قال:

أدهى المصائِبِ ما بالدِّين قد نزلت
والمسلمون عُموماً لاقوا الألَما
عِلْماً وحِلْماً فَقَدْنا بَعْدَهُ وبِهِ
تبكي السماء وتبكي الأرض فَقْدَهُما
دعا إلى الله بالقرآن إخَوتَهُ
وحَثّهم عُمُراً بِجَعْلِهِ حَكَما[1]

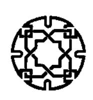
وهكذا كانت المرأة المسلمة عبر كل العصور صانعة لمثل هذا العالم وهؤلاء العلماء الذين سَجَّل التاريخ أسماءهم وعلمهم بمداد من نور، وهكذا قدَّر الله لهؤلاء النساء أن يصنعن بأيديهن وتوجيههن علماء نشروا العلم في ربوع الأرض عبر كل العصور.

فرحم الله هؤلاء العلماء، ورحم الله أولئك النساء ورحم كل من يخدم دين الإسلام في كل وقت وحين رحمة واسعة.

وأنت أيتها المسلمة ألا تريدين أن تلحقي بركب النساء

(١) هذه الأبيات من قصيدة طويلة نقلاً عن ترجمة الشيخ السديس للشيخ الشنقيطي ص١٨١.

اللاتي صنعن علماء ذلك الركب المبارك الذي نقلت لكِ بعض ثمرات من لحقن به، إن أردت ذلك فتعالي معي لنعرف عبر الصفحات التالية كيف تصنعين عالماً؟؟؟



المرأة المسلمة وطلب العلم

لقد وضعت بين يدي المرأة المسلمة أمثلة لعلماء ربانيين ربتهم وصنعتهم نساء مسلمات، وليس معنى هذا إن تربية العلماء هي المساهمة التي يمكن أن تقدمها المرأة المسلمة في مجال نشر العلم وخدمة سنة المصطفى ﷺ، بل إن المرأة المسلمة تصدت في القرون الفاضلة وعلى مرّ العصور لفنون العلم المختلفة وأمعنت في ذلك إمعاناً أعيا على الرجل أن يدركه في مواطن كثيرة. فقد كانت تطلب العلم وتجلس للفُتيا وتنشر سنة المصطفى ﷺ وكافة العلوم النافعة على مر العصور، وليس هذا غريباً على المرأة المسلمة وهي التي علمت كيف حث الإسلام على طلب العلم وكيف أن أول أمر رباني جاء به الوحي كان: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ١ ـ ٥] وهكذا حملت المرأة المسؤولية كاملة مع الرجل لنشر العلم وتعلمه وتعليمه، فكانت صانعة للعلماء الربانيين وكانت عالمة فقيهة تعلم العلم للنساء والرجال فتكون بذلك صانعة أيضاً للعلماء والعالمات الصالحات.

وكيف لا تطلب المرأة المسلمة العلم وقد سمعت قول

النبيﷺ عن أبي هريرة قال: قال رسول اللهﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة أشياء: من صدقة جارية أو علمٌ ينتفع به بعده أو ولد صالح يدعو له**»[(١)].

فكيف لا تحرص المرأة المسلمة على هذه الأبواب الثلاثة ـ ومنها العلم النافع لغيرها ـ تلك الثلاثة التي كل واحدة منهم امتداداً لعمرها بعد وفاتها، فبقدر ما اهتمت المرأة المسلمة بصناعة الأولاد والبنات الصالحين اهتمت بالعلم النافع الذي ينفعها في حياتها، واهتمت بتعليم العلم وتدريسه للنساء بل وللرجال. منهن الأستاذات والمدرسات لأئمة أعلام مثل الإمام الشافعي والإمام البخاري وابن خلكان وابن حبان وجميعهم من الفقهاء والعلماء والأدباء المشهورين[(٢)].

وجاء في طبقات الشافعية أن الإمام الحافظ ابن عساكر المتوفى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة أوثق رواة الحديث عقدة وأصدقهم حديثاً ـ حتى لقبوه بحافظ الأمة ـ كان له من شيوخه وأساتذته بضع وثمانون من النساء[(٣)].

فهل سمع الناس في عصر من العصور وأمة من الأمم أن عالماً واحداً يتلقى عن بضع وثمانين امرأة علماً واحداً؟ فكم ترى منهن من لم يلقها أو يأخذ عنها والرجل لم يجاوز

(١) انظر أطراف الحديث في صحيح مسلم (١٤) ك الوصية وأبو داود (٢٨٨٠) والترمذي (١٣٧٦) والنسائي (٦/ ٢٥١).
(٢) تربية الأولاد في الإسلام لعبد الله ناصح علوان (١/ ٢٧٧).
(٣) طبقات الشافعية (٤/ ٢٧٣).

الجزء الشرقي من الدولة الإسلامية فلم تطأ قدماه أرض مصر ولا بلاد المغرب ولا الأندلس وهي أحفل ما تكون بذوات العلم والرأي من النساء[١]. ولقد وُجد على مر القرون نساء تجاوزن علوم فرض العين إلى فروض الكفاية فكانت منهن المحدثات العظيمات والراويات الثقات. وهذا الإمام محمد بن سعد صاحب الطبقات بعقد جزءاً من كتاب: «الطبقات الكبرى» لراويات الحديث من النساء أتى فيه على نيِّف وسبعمائة امرأة روين عن رسول الله ﷺ وعن صحابته ﷺ، وروى عنهم أعلام الدين وأئمة الإسلام. وهل نجد موطناً أوثق ومُرتقى أسمىٰ ومنزلة أوثق من أن علي بن أبي طالب ﷺ - وهو العلم الأشم الذي لا يدانيه أحد في علمه وحكمته وقربه من رسول الله ﷺ - يتلقى الحديث على مولاة لرسول الله ﷺ كانت تقوم على خدمته هي ميمونة بنت سعد[٢] فكيف بمن هو دون علي ﷺ.

وهكذا وقفت المرأة المسلمة كالطود الشامخ في مجال العلم والتعليم، كما كانت كالطود الشامخ في مجال صناعة العلماء والأبطال. فها هو الإمام أبو مسلم الفراهيدي المحدث يكتب عن سبعين امرأة[٣].

وها هي المرأة المسلمة يتتلمذ على يديها رجال علماء:

(١) المرأة العربية لعبد الله عفيفي ص١٣٩.
(٢) الإصابة (٧/ ١٧٣).
(٣) من أخلاق العلماء هامش ص٣٤٥.

● فأم سلمى فاطمة بنت أبي بكر بن عبد الله: روت عن أبيها وكتب عنها محمد بن جعفر كتاب «الجمل»[١].

● وفاطمة بنت جوهر من تلاميذها الحافظ ابن قيم الجوزية.

● وست القضاة بنت الشيرازي تتلمذ عليها الحافظ ناصر الدين الدمشقي والقاضي الإمام أحمد بن فضل الله العمري[٢].

● وزينب ابنة الكمال من تلاميذها الإمام محمد بن حزم الحسيني[٣].

وها هو الحافظ ابن حجر يحصل على إجازة من امرأة وهي السيدة زينب بنت عبد الله بن عبد الحليم بن تيمية الحنبلية ابنة الإمام شرف الدين عبد الله أخي شيخ الإسلام ابن تيمية وزوجة الإمام أبو محمد عبد الوهاب بن السلّار[٤].

● ووزيرة بنت عمر بن المنجى ومن تلاميذها الإمام محمد بن سوار السبكي[٥].

● وزينب بنت مكي وممن سمع عليها الحافظ أحمد بن

(١) المرأة ومكانتها ص٥٧.
(٢) الرد الوافر ص٨١.
(٣) الرد الوافر ص٥٥.
(٤) الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ص١١٠.
(٥) المصدر السابق ص٥٠.

بكار النابلسي وعمر بن حبيب[١].

ومن تلاميذها أيضاً الإمام الحافظ محمد بن ناصر الدين الدمشقي الشافعي[٢].

● ووزيرة بنت عمر بن المنجى من تلاميذها الإمام محمد بن سوار السبكي[٣].

● والسيدة سيدة ابنة الكمال ومن تلاميذها الإمام محمد بن حمزة الحسيني[٤].

● وزينب بنت مكي سمع عليها الحافظ أحمد بن بكار النابلسي وعبد الله بن المحب وعمر بن حبيب وكثير من المحدثين[٥].

وقد شهد الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله مجالس حافلة قرأ فيها على بعض المحدثات الحافظات الفقيهات، فتراه يختم كتابة «بغية الوعاة» بمسلسلات قرأ منها على الأصيلة الثقة الخيرة الفاضلة الكاتبة أم هانىء بنت الحسن الهوريني وعلى هاجر بنت محمد المصرية، وأخبرته الشيختان المسندتان أم هانىء وأم الفضل بنت محمد المقدسي. ويقول أنه قرأ على

(١) المصدر السابق.
(٢) الرد الوافر ص١١٠.
(٣) الرد الوافر ص٥٠.
(٤) المصدر السابق ص٥٥.
(٥) المصدر السابق ص٨٠ ـ ١٠١.

الأصيلة نشوان بنت عبد الله الكناني وأخبرته كمالية بنت محمد بن أبي بكر الجرجاني وأنبأته أمة الخالق بنت عبد اللطيف العقبى وأخبرته أمة العزيز بنت محمد الأمباسي وفاطمة بنت علي بن اليسير شافهها بالفسطاط وغيرهن كثير[١].

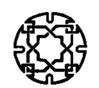
وقال الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله: «وقد رأيت بنفسي وأنا مدرس بالإحساء نسخة لسنن أبي داود عند آل المبارك وعليها تعليق لأخت صلاح الدين الأيوبي»[٢].

وهكذا صنعت المرأة المسلمة بتربيتها العلماء، وهكذا صنعت المرأة المسلمة بعلمها العلماء.

ولقد امتازت «العالمة المسلمة» بالصدق في العلم والأمانة في الرواية، والحيدة عن مواقع التهم ومساقط الظُّنن، مما لم يوفق إليه كثيرون من الرجال. وشهد على هذا الصدق للعالمة المسلمة الحافظ الذهبي المتوفّى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وهو ثقة من ثقات المسلمين وعظيم من عظماء المحدثين، ألّف كتابه «ميزان الاعتدال» في نقد رجال الحديث خرَّج فيه أربعة آلاف متَّهم من المحدثين ثم أتبع قوله بتلك الجملة التي يشهد فيها للمرأة المسلمة بالصدق في نقل العلم ورواية الحديث قال: وما علمت من النساء من اتُّهمت ولا من تركوها[٣]. ولعل قائلاً يقول: «وما للنساء ورواية الحديث؟

(١) من أخلاق العلماء ص٣٤٥.
(٢) المصدر السابق ص٣٤٦.
(٣) ميزان الاعتدال (٤/ ٦٠٤).

وهل تركهن الذهبي إلا من قلة أو ذلة؟» والجواب: أن حديث رسول الله ﷺ منذ عهد عائشة رضي الله عنها حتى عهد الذهبي ما حُفظ ولا روى بمثل ما حفظ في قلوب النساء وروى على ألسنتهن فعائشة أم المؤمنين روت الألوف من أحاديث رسول الله ﷺ. ولم يزد عنها غير أبي هريرة. وقد أحصى لها ابن حزم في جوامع السيرة عشرة أحاديث ومائتي حديث وألفين. ولم يلها في الإحصاء من أمهات المؤمنين غير أم سلمة رضي الله عنها فقد أحصى لها ابن حزم ثمانية وسبعين وثلثمائة حديث. وغيرهن من النساء اللاتي سوف نتعرض لسيرتهن بشيء من التفصيل لكي يعلم الجميع أن المرأة المسلمة اعتزت بالإسلام على مر العصور فبذلت في سبيله كل غالٍ وعملت على المساهمة في إعزازه بكل طريقة وإليك سيرة لبعض هؤلاء العالمات الصالحات:



١ ــ عائشة أم المؤمنين

هي الصديقة بنت الصديق العالمة الفقيهة.

وعلم السيدة عائشة وتفوقها في العلم والمعرفة لا ينكره إلا جاهل أو حاسد حاقد، وإذا كان العلم يثبت بشهادات العلماء وتقريرهم له، فإن علم عائشة الواسع قد أثبته لها وشهد لها به العديد من جهابذة العلم وأساطين المعرفة من رجالات السلف الصالح أولهم شهادة ابن أختها عروة بن الزبير لها بالتفوق والعلم حيث قال: «ما رأيت أحداً علم بفقه ولا طب ولا شعر من عائشة»[١].

وقال ابن شهاب الزهري: «لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبيﷺ وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل»[٢].

وقال عطاء: «كانت عائشة أفقه الناس وأحسن الناس رأياً في العامة».

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ٣٩ ـ ٥٦).
(٢) صفة الصفوة (٢/ ٢٤).

وعن عروة عن عبد الله بن الزبير قال: «ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا حرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشةرضي الله عنها»[١].

وقال أبو موسى الأشعريرضي الله عنه: «ما أشكل علينا أصحاب رسول اللهﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً»[٢].

وقيل لمسروق: «كانت عائشة تحسن الفرائض؟ قال: «والله لقد رأيت الأحبار من أصحاب محمدﷺ يسألونها عن الفرائض»[٣].

وذكر أبو عمر بن عبد البررحمه الله: «أنها كانت وحيدة عصرها في ثلاثة علوم: علم الفقه وعلم الطب وعلم الشعر».

وقد ذكرها الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في طبقاته من جملة فقهاء الصحابة. ولما ذكر ابن حزم أسماء الصحابة الذين رويت عنهم الفتاوى في الأحكام قدّم عائشة على سائر الصحابة، وقال الحافظ أبو حفص عمر بن عبد المجيد القرشي الميانشي في كتاب «إيضاح ما لا يسع المحدث جهله»: «اشتمل كتاب البخاري ومسلم على ألف حديث ومائتي حديث من الأحكام، فروت عائشة من جملة الكتابين

---

(١) العلم والعلماء لأبي بكر الجزائري ص٢٤٤.
(٢) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص٥٨.
(٣) «من أخلاق العلماء» لمحمد بن سليمان ص٦١.

مائتين ونيف وتسعين حديثاً لم يخرج عن الأحكام منها إلا يسير». قال الحاكم أبو عبد الله: «فحُمل عنها ربع الشريعة» ا.هـ[١] ولقد كانت أم المؤمنين عائشة من أنفذ الناس رأياً في أصول الدين ودقائق الكتاب المبين، وكانت تستدرك على الصحابة ملاحظات فإذا علموا بذلك منها رجعوا إلى رأيها. ومن أمثلة ذلك ما استدركه على عبد الله بن عمر وقد كان قد وهم فقال: إن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عمر إحداهن في رجب، فقالت عائشة: «يرحم الله أبا عبد الرحمن ما اعتمر رسول الله ﷺ إلا وهو معه وما اعتمر في رجب قط»[٢].

وكانت كثيراً ما تقوم بتعديل سلوك من يُسرف في مجال من مجالات الدين مثل ما حدث بينها وبين أبي السائب قاصّ أهل المدينة: قالت عائشة لابن أبي السائب قاصي المدينة: «ثلاثاً تبايعني عليهن أو لأناجزنَّك. قال: ما هن؟ بل أبايعك يا أم المؤمنين قالت: اجتنب السجع في الدعاء فإن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا لا يفعلون ذلك، وقُص على الناس في كل جمعة مرة فإن أبيت فثنتين فإن أبيت فثلاثاً فلا تمل الناس هذا الكتاب، ولا ألفينَّك تأتي القوم وهم في حديث فتقطع عليهم حديثهم ولكن اتركهم فإذا جرؤك عليه وأمروك به فحدثهم[٣].

---

(١) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة للزركشي ص٥٩.
(٢) الإجابة للزركشي ص١٠٤، ص١٠٥.
(٣) مسند أحمد (٦/ ٢١٧).

ولم يكن نفاذ رأي السيدة عائشة في الدين فقط، بل كان أمرها كذلك في التاريخ والعلم بحوادث الأمم، وإليك هذا المثال على مدى ما بلغت السيّدة عائشة من الإحاطة بحوادث الأمم ومشكلات التاريخ:

«لما وفد المسلمون إلى الحبشة مهاجرين، أوطنهم النجاشي موطناً كريماً فأوفدت إليه قريش عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بأعز ما لديهم من طرائف وتلاد وفي أنفسهم أن يبرأ من ذمة اللاجئين إليه ويعيدهم على أعقابهم. فردّ النجاشي على القوم هداياهم وقال: «لا حاجة لي بها فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردّ عليّ ملكي فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس فيَّ فأطيعهم فيه» فحفظ الناس ذلك القول من ملك الحبشة ولم يعرفوا معناه حتى كانت عائشة هي التي حدثتهم خبره مما تعلم من تاريخ الحبشة فقالت: «إن أبا النجاشي كان ملك قومه ولم يكن له ولد سواه وكان للنجاشي عم له إثنا عشر رجلاً كلهم من صلبه فقالت الحبشة: لو أنا قتلنا الملك وولينا أخاه لأَمِنَّا على المُلْكِ أن يضيع وعلى المَلِكِ أن ينقطع عَقِبة فعدوا على ملكهم فقتلوه وملَّكوا أخاه، فمكثوا على ذلك حيناً وكان ولد القتيل فتى أيِّدا حازماً لبيباً أديباً فغلب عمه على الملك، وأوجس القوم أن يثب على الملك فيأخذهم بأبيه فحملوا الملك على بيعة من تاجر بستمائة درهم فقذفه التاجر في سفينة وانطلق به حتى إذا كان العَشِيّ من ذلك القوم هاجت سحابة من سحب الخريف فخرج الملك يستمطر تحتها فأصابته صاعقة قتلته، ففزعت الحبشة إلى ولده فإذا هو مُحْمقٌ لا خير

في ولده ثم علموا أن لا مفزع لهم إلا إلى ابن ملكهم القتيل فخرجوا يطلبونه فجاؤوا به من صاحبه فعقدوا عليه التاج وعز على التاجر أن يضيع ماله وتذهب صفقته فاقتضى القوم حقه فجحدوا إياه فشكا أمره إلى الملك فقال: لتُعْطنّهُ ماله أو لَيَضَعَنَّ غلامُه يده في يده فليذهبن به حيث شاء، فقالوا: بل نعطه ماله، قالت: فلذلك يقول ما أخذ الله مني رشوة حين ردّ عليّ ملكي فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس فيَّ فأطيع الناس فيه»[١].

ذاك هو الحديث الذي خفي تفسيره عن ثلاثة وثمانين رجلاً وابتدرته عائشة حين سئلت عنه.

لقد كانت أم المؤمنين فصيحة بليغة وكانت تحسن أن تقرأ ولم يكن يعرف ذلك إلا عدد محدود من أصحاب رسول الله ﷺ.

وقد جاء في بيان فصاحتها وبلاغتها.

عن الأحنف بن قيس قال: «سمعت خطبة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب فما سمعت الكلام من فِي مخلوق أحسن ولا أفخم من فِي عائشة رحمة الله عليهم أجمعين»[٢].

وعن سفيان قال: «سأل معاوية زياداً: أي الناس أبلغ؟ قال: أنت يا أمير المؤمنين قال: أعزم عليك قال: إذا عزمت

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ١١٣، ١١٤).
(٢) صفة الصفوة (٢/ ٢٦).

عليَّ فعائشة، فقال معاوية: ما فتحت باباً قط تريد أن تغلقه إلا أغلقته ولا أغلقت باباً قط تريد أن تفتحه إلا فتحته[١].

ولقد برعت رضي الله عنها في الطب ومما ورد في ذلك عن هشام بن عروة قال: كان عروة يقول لعائشة: أمَّتا لا أعجب من فقهك أقول زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبي بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام العرب أقول ابنة أبي بكر وكان أعلم الناس أو من أعلم الناس، لكن أعجب من علمك بالطب قال فضربت على منكبه وقالت:

«أي عروة إن رسول الله ﷺ كان بسقم عند آخر عمره أو في آخر عمره، فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت له الأنعات فكنت أعالجها فمن ثَّم»[٢].

وهكذا كانت السيدة عائشة ـ مثال للعالمة الفقيهة ملأت أرجاء الأرض علماً ونوراً وأنارت السبيل أمام أمة المصطفى ﷺ بروايتها وعلمها فرحمها الله ورضي الله عنها.

وصدق من قال: [البسيط]

العلمُ فيه حياةٌ للقلوبِ كَمَا
تَحيا البلادُ إِذَا مَا مَسَّها المطرُ

فرحم الله أم المؤمنين صانعة العلماء، رحم الله أم المؤمنين معلمة الخير لتحيى بوحي السماء قلوب العلماء.

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٢٧).
(٢) صفة الصفوة (٢/ ٢٤).

٢ ـ أم المؤمنين أم سلمة

هي السيدة المحجبة الطاهرة هند بنت أبي أمية بن المغيرة القرشية المخزومية من المهاجرات الأُول، كانت قبل النبيﷺ عند أخيه من الرضاعة أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي[١].

فهي من أمهات المؤمنين اللاتي اصطفاهن الله لصحبة النبي الأكرمﷺ فَنَهَلْنَ من علمه ونورهﷺ.

قال الذهبي: «كانت تعد من فقهاء الصحابيات»[٢].

وكانت من النساء العاقلات، ويظهر ذلك حين أشارت على النبيﷺ يوم الحديبية أن يتقدم الناس بنحر الهدى والحلق لما امتنعوا أن ينحروا ويحلقوا ليحلوا من الإحرام رغبة منهم في أن يدخلوا مكة غازين، فلما فعل النبي ما أشارت به أم سلمة قام الناس فنحروا وحلقوا[٣].

وقد روت الكثير من الأحاديث عن رسول اللهﷺ، أحصى

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٠٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٠٨).
(٣) الإصابة (٤/ ٤٤٠).

لها بقي بن مخلد وأبو محمد بن حزم ثمانية وسبعين وثلاثمائة حديث[١]، فهي تلي السيدة عائشة بالنسبة لما روته أمهات المؤمنين عن سيد المرسلين ﷺ، واتفق البخاري ومسلم لها على ثلاثة عشر وانفرد البخاري بثلاثة ومسلم بثلاثة عشر[٢].

ولقد بلغت السيدة أم سلمة في البلاغة والعقل مبلغ عظيم ولم تكن فصاحتها بأدنى من فصاحة السيدة عائشة، وقد أقدمت على عتابها حين أرادت الخروج إلى البصرة وكررت عتابها بأقوال هي غاية في البلاغة ومنها:

«إنك سدة بين رسول الله ﷺ وبين أمته فمتى أصيب ذلك الباب بشيء فقد دُخِل على رسول الله ﷺ في حريمه وحوزته واستبيح حماه، فلا تكوني أنت سبب ذلك الخروج الذي لا يجب عليك فتحوجي الناس إلى أن يفعلوا مثلك»[٣].

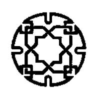
وهكذا تظهر بلاغة السيدة أم سلمة ورجاحة عقلها وصواب رأيها، وظهر ذلك أيضاً في مراقبتها للأحداث وجاء في ذلك ما حدَّثت به مرفوعاً: «إن من أصحابي من لا يراني بعد أن يفارقني» فقال لها عمر رضي الله عنه: بالله أنا منهم؟ قالت: لا ولن أبلى أحداً بعدك ـ أي لا أخبر بعدك أحد»[٤]. ولقد

(١) الإصابة (٤/ ٤٤١).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢١٠).
(٣) النهاية (٢/ ٢٥٢).
(٤) المسند (١٦ ـ ٢٩).

أغرمت السيدة أم سلمة أم المؤمنين بفاطمة الزهراء وأولادها فتعقبت سيرتهم وأحوالهم وعاشت حتى بلغها مقتل الحسين فوجمت له وغشي عليها وحزنت عليه ولم تلبث بعده إلا قليلاً[١].

ورحلت أم المؤمنين أم سلمة وتركت لنا ما روته من أحاديث عن رسول الله ﷺ وكيف لا تنشر سنة المصطفى وقد قال الله لأمهات المؤمنين: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

رحم الله أم المؤمنين أم سلمة وجمعنا بها وبسائر الصالحات في مستقر رحمته.



(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢١٢).

٣ ـ عمرة بنت عبد الرحمن

هي عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية النجارية، وهي سيدة جليلة من سيدات التابعيات عدَّها ابن أبي داود من سيدات التابعيات وهن:

«حفصة بنت سيرين، وعمرة بنت عبد الرحمن، وأم الدرداء الصغرى»[١].

وهي محدثة فقيهة كانت في حجر السيدة عائشة أم المؤمنين، فنشأت في أحضان العلم والتقوى فصارت من العالمات الثقات ومن سيدات التابعيات.

قال يحيى بن معين: «عمرة بنت عبد الرحمن ثقة حجة»[٢].

وقال العجلي: «مدنيّة تابعية ثقة وذكرها ابن حبان في الثقات وذكر ابن المديني عمرة ففخم أمرها»[٣].

(١) أعلام النساء (١/ ٢٧٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٧).
(٣) أعلام النساء (٣/ ٣٥٦).

ولقد روت الكثير عن السيدة عائشة، وروت عن حمنة بنت جحش، وأم سلمة وحبيبة بنت سهل ورافع بن خديج وغيرهم من المحدثين.

وقد أورد لها أحمد في مسنده فيما روت عن عائشة نحو من ثمانين حديثاً[١].

روى أيوب بن سعيد عن يونس عن ابن شهاب عن القاسم بن محمد أنه قال لي: «يا غلام أراك تحرص على طلب العلم، أفلا أدلك على وعائه؟ قلت: بلى قال: عليك بعمرة فإنها كانت في حجر عائشة، قال: فأتيتها فوجدتها بحراً لا يترف»[٢].

قال صاحب تهذيب التهذيب: عمرة بنت عبد الرحمن المدنيّة الفقيهة تربية عائشة وتلميذتها[٣].

وقال الذهبي: «كانت عالمة فقيهة حجة كثيرة العلم»[٤].

وقال ابن حبان: «كانت من أعلم الناس بحديث عائشة»[٥].

وقال عمر بن عبد العزيز: «ما بقي أحد أعلم بحديث

---

(١) المسند (٦/ ٦٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٨).
(٣) تهذيب التهذيب ترجمة (٢٨٥٠) (١٢/ ٤٦٦).
(٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٨).
(٥) أعلام النساء (٣/ ٣٥٦).

عائشة من عمرة». وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد بن حزم أن «انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سنة ماضية أو حديث عمرة فاكتبه، فإني خشيت دروس العلم وذهاب أهله»[١].

وقد حدَّث عن السيدة عمرة الكثيرون من سادة التابعين، فقد حدَّث عنها ولدها أبو الرجال محمد بن عبد الرحمن وابناه حارثة ومالك، وابن أختها القاضي أبو بكر بن حزم وابناه عبد الله ومحمد والزهري ويحيى بن سعيد الأنصاري وآخرون[٢].

وهكذا كانت السيدة عمرة خليفة السيدة عائشة في تبليغ أحاديث المصطفى وحمل هذه الأمانة من بعدها، فاستحقت بفضل العلم وبفضل تعليمها للكثيرين من رجال عصرها أن توضع في سجل خير نساء «نساء صنعن علماء».

وقد اختلفوا في وفاة السيدة عمرة فقيل توفيت سنة ثمان وتسعين وقيل توفيت سنة ست وتسعين[٣].

رحم الله السيدة عمرة وأحسن إليها المثوية ورزقنا نساء مسلمات عالمات يعملون على نشر نور السنة المحمدية في كل الآفاق.

---

(١) شذرات الذهب (١/ ١١٤).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٩).
(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٩).

٤ ـ زينب بنت أبي سلمة

هي بنت أم سلمة القرشية المخزوميّة ولدتها أمها بالحبشة حين كانت مهاجرة مع زوجها أبي سلمة وعادت بها ترضعها[١]، ولما مات أبوها ولحقت أمها بأمهات المؤمنين صارت ربيبة رسول الله ﷺ، وآن لها أن تشب في بيت النبوة تتعلم من أفصح العرب وتسمع جوامع الكلم ثم تتلقن روائع الحكمة من خير البشر الذي كان يداعبها.

عن أنس قال: «كان النبي ﷺ يلاعب زينب بنت أم سلمة وهو يقول: يا زوينب يا زوينب مراراً ـ وقيل كان يقول يا زُناب[٢] ـ وقد أرضعتها السيدة أسماء بنت أبي بكر وكانت أحب أولادها من الرضاعة»[٣].

إلى جانب أنها ابنة أم سلمة التي حين رضع منها الحسن البصري قبل رضيع الحكمة من أم سلمة.

---

(١) الإصابة (٧/ ٦٧٥).
(٢) الأحاديث المختارة (٥/ ١٠٩) وفيض القدير (٥/ ٢٠٥).
(٣) مسند الشافعي (١/ ٢٣٠).

ولذلك تهيأت زينب لأن تكون أفقه نساء زمانها، فكانت حين بلغت وكبرت من الثقات الفقيهات.

قال العجلي: «هي تابعية مدنيّة ثقة وهي ربيبة رسول الله ﷺ من زوجته أم سلمة»(١).

وقال صاحب الآحاد والمثاني: «زينب بنت أم سلمة كانت تُعد من الفقهاء»(٢).

وعن أبي رافع قال: «غضبت يوماً على امرأتي فقالت هي يوماً يهودية ويوماً نصرانية وكل مملوك لها حر إن لم تُطلق امرأتك، فأتيت عبد الله بن عمر فقال: إنما هذه من خطوات الشيطان، وكذلك قالت زينب بنت أم سلمة وهي يومئذ أفقه امرأة في المدينة»(٣).

وقد جاء أن مولاة أبي رافع ليلى بنت العجماء حلفت وقالت لها زينب: كفّري ووافق رأيها ابن عمر(٤).

وكان أبو رافع يقول أيضاً: «كنت إذا ذكرت امرأة فقيهة بالمدينة ذكرت زينب بنت أم سلمة»(٥).

---

(١) معرفة الثقات (٢/ ٤٥٣).
(٢) الآحاد والمثاني (٦/ ٢٢).
(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٢٠٥).
(٤) التاريخ الكبير (٥/ ٢٨١).
(٥) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٥٠).

قال ابن حجر: «حفظت عن النبيﷺ وروت عنه وعن أزواجه وعن أمها وروى عنها ابنها أبو عبيدة ومحمد بن عطاء وعراك بن مالك وعروة بن الزبير»[١].

وقد أخرجت لها دواوين الحديث سبعة أحاديث منها حديث في البخاري وحديث في مسلم، وذكر لها مالك في موطئة حديث الإحداد على الميت روته زينب عن الأمهات أم سلمة وأم حبيبة وزينب بنت جحش[٢].

وقد عمرت زينب طويلاً وشهدت يوم الحرة في أيام يزيد، ولقيت هذا اليوم بصبر وعقل وفقه: أما الصبر فحين ألقى جسدا ولديها بين يديها قتيلين استرجعت وقالت إنا لله وإنا إليه راجعون. وأما العقل والفقه فقولها: أما أحدهما فإنه لم يخرج محارباً وكفَّ يده فقتل مظلوماً فرجوت له الجنة، وأما الآخر فخرج وقاتل حتى قتل ففيه حيرتي: أهو شهيد أم هو غير شهيد؟ فالله أعلم بنيَّته عند القتال وأنا لا أعرف ما نوى فمصيبتي فيه أعظم[٣].

فيا له من صبر وعلم وفقه يعجز عنه الفقهاء الصابرون.

وتوفيت زينب سنة ثلاث وسبعين وحضر جنازتها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

---

(١) الإصابة (٧/ ٦٧٥).
(٢) الموطأ ص١٦٠.
(٣) أعلام النساء (٢/ ٦٧، ٦٨).

٥ ـ فاطمة بنت المنذر

هي فاطمة بنت المنذر بن الزبير بن العوام بن خويلد، وأمها أم ولد وقد تزوجها هشام بن عروة بن الزبير وهي في التاسعة من عمرها وولدت له عروة ومحمداً[١].

وقال الخطيب عن هشام بن عروة حين قيل له أن ابن إسحاق يحدث عنها قال: «كذب لقد دخلت بها وهي بنت تسع سنين وما رآها مخلوق حتى لحقت بالله»[٢].

وهكذا نشأت وشبَّت السيدة فاطمة في بيت مولع بالحديث وروايته، فجدها الزبير حواري رسول الله ﷺ وجدتها أسماء بنت أبي بكر وعمها عبد الله أحد العبادلة لولا أنه اشتغل بالإمارة فقل حديثه، وعمها أبو زوجها عروة أحد فقهاء المدينة السبعة، وزوجها هشام أكبر الرواة عن أبيه وحديث عمَّ الحجاز والعراق.

وقد أكثرت فاطمة من الرواية عن جدتها أسماء، ولعل

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٧٧) وتاريخ بغداد (١/ ٢٢٢).
(٢) تاريخ بغداد (١/ ٢٢٢).

قلة حديثها عن غيرها كان للحجاب الكثيف الذي زعموا أن زوجها هشاماً ضربه عليها منذ تزوج بها وهي بنت تسع فلم تسمع خلف هذا الحجاب إلا جدتها.

وقد ذكروا أن هشاماً نفى أن تكون حدثت أحداً، ولكن شمس الدين الذهبي ـ وقد تأخر عصره فاتسع له البحث ـ رأى في هذه الرواية ما يشبه أن لا يكون صحيحاً وذكر أنها حدَّثت حين أسنت وكبرت[١].

وقد روت فاطمة أحاديث في الكسوف والخسوف وإبراد الحمى بالماء وإباحة لحوم الخيل وقدر زكاة الفطر وقدر ماء الوضوء وغيرها[٢].

وأنصع ما روت عن أسماء قول رسول الله ﷺ لها: «انفحي وانضحي ولا توعي فيوعي الله عليك»[٣].

ومن ناصعة أيضاً روايتها عن جدّتها ذات النطاقين قوله ﷺ: **«المتشبع بما لم يملك كلابس ثوبي زور»**[٤].

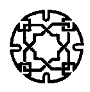
وهو نهي لمن يزدهي بما ليس له لأنه كذب وباطل، وقد أوردوا فيه قديماً صورة ثياب لم يعد لها وجود، وأشبه شيء

---

(١) ميزان الاعتدال (٣/ ٤٧٠).
(٢) النقص ص١٩٥، ص١٩٦.
(٣) المجازات النبوية ص٣٠٨.
(٤) النهاية لابن الأثير (١/ ٢٢٨).

بها اليوم ثياب التمثيل وثياب العروس تقترضه فتجره وتدعيه[١].

وهكذا تخرجت السيدة فاطمة من مدرسة آل الزبير وآل أبي بكر وكلاهما خير مدرسة للصدق والعلم والأمانة.



(١) طبقات النساء المحدثات، عبد العزيز سيد الأهل ص٦٥.

٦ ـ أم الدرداء الصغرى(*)

هي هُجيمة بنت حيي الوصابية، كانت زوجة لأبي الدرداء وقد توفي عنها وهي ذات حسن وجمال[١].

عن مكحول قال: «كانت أم الدرداء تجلس في صلاتها جلسة الرجل وكانت فقيهة»[٢].

وجاء عنها في التاريخ الصغير: «كانت تجلس في حلق القُرَّاء تعلِّم القرآن»[٣].

وقال عنها ابن عساكر: «كانت زاهدة فقيهة وسمعت أبا الدرداء وأبا هريرة وعائشة، وروى عنها الكثيرون من سادات التابعين مثل جُبير بن نُفير وأبو قلابة عبد الله بن زيد الجَرْميّ وعثمان بن حيَّان ورجاء بن حيوة وإسماعيل بن عُبيد الله بن

(*) المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٢٧)، اللباب (١/ ٧٦)، تاريخ دمشق (٤١٨ - ٤٢٨) تراجم النساء، تذكرة الحفاظ (١/ ٥٠) العبر (١/ ٩٣)، البداية والنهاية (٩/ ٤٧).

(١) أسد الغابة (٧/ ٢٨٥)، طبقات الحفاظ للسيوطي ص١٧.

(٢) تاريخ دمشق تراجم النساء ص٤٢٧.

(٣) التاريخ الصغير (١/ ١٩٣).

أبي المهاجر»[١].

وروى عن عون بن عبد الله قال: جلسنا إلى أم الدرداء فقلنا لها: أمللناكِ فقالت: «أمللتموني لقد طلبت العبادة في كل شيء فما أصبت لنفسي شيئاً أشفى من مُجالسة العلماء ومذاكرتهم»[٢].

وفي رواية: «فما وجدت شيئاً أشفى لصدري ولا أحرى أن أدرك به ما أريد من مُجالسة أهل الذكر»[٣].

عن ابن زينون قال: كتبت لي أم الدرداء في لوحي فيما تعلمني: «تعلموا الحكمة صغاراً تعملوا بها كباراً»[٤].

ولقد روت العديد من الأحاديث عن أبي الدرداء منها: عن أبي الدرداء عن النبيﷺ قال: «**من أصبح معافى في بدنه آمنا في سربِهْ عنده قوت يومه فكأنما خيرت له الدنيا**»[٥].

ومن أروع ما روته عنه من الوصايا:

عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال: قالت أم الدرداء لأبي الدرداء: إن احتجت بعدك آآكل الصدقة؟ قال: لا، اعملي

---

(١) تاريخ دمشق ص٤١٨ تراجم النساء.
(٢) الحدائق (٤٨) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٧٨).
(٣) تاريخ بغداد (١٤/ ٤٣٥).
(٤) تاريخ أبي زرعة (١/ ٣٣٤).
(٥) تاريخ دمشق ص٤١٨ تراجم النساء.

وكُلي قالت: فإن ضعفت عن العمل، قال: «التقطي السنبل ولا تأكلي الصدقة»[١].

ولقد كانت أم الدرداء زادة ورعة حكيمة ومن أقوالها: «يا بني لا تدعو أن تأدموا طعامكم بذكر الله أكلاً وحمداً خير من أكلٍ وصمت»[٢].

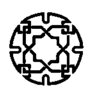
وعن هزان قال: قالت لي أم الدرداء: يا هزان ألا أحدثك ما يقول الميت إذا وضع على سريره؟ قال: قلتُ بلى قالت: فإنه ينادي يا أهلاه ويا جيراناه ويا حملة سريري لا تغرنكم الدنيا كما غرتني ولا تلعبن بكم كما لعبت بي فإن أهلي لم يحملوا عني من وزري شيئاً ولو حاجّوني اليوم عند الجبار لحجّوني، ثم قالت: الدنيا أسحر لقلب العبد من هاروت وماروت وما آثرها عبد قط إلا صرعته[٣].

وكانت تحب العلم وأهله ومما جاء في ذلك:

عن أبي زكريا الخزاعي قال: «خرجنا مع أم الدرداء في سفر فصحبنا رجل فقالت: ما يمنعك أن تقرأ أو تذكر الله كما يصنع أصحابك؟ فقال: ما معي من القرآن إلا سورة وقد رددتها حتى أدْبَرْتَها[٤] قالت: وإن القرآن ليدبر ما أنا بالتي

(١) صفة الصفوة (١/ ٣٢٥).
(٢) تاريخ ابن عساكر تراجم النساء ص٤٣٣.
(٣) كتاب الزهد (١٦٥).
(٤) يريد أنه أشبعها قراءة وحفظاً.

أصحبك إن شئت تتقدم وإن شئت تتأخر»[١]. رحمك الله يا أم الدرداء لقد عرفت للعلم شأنه وعلمت أن خير العلم العلم بكتاب الله الذي هو أنيس الصالحين والصالحات. فهلمي أختي المسلمة إلى القرآن الذي لا تمله نفوس الصالحات ولا يتركه أحد إلا خاب وخسر.



(١) تاريخ دمشق تراجم النساء ص٤٣١.

٧ ـ حفصة بنت سيرين

هي أم الهذيل بصريّة ومدنيّة أيضاً وأبوها هو سيرين أحد سبي خالد بن الوليد من عين التمر. وقد كان سيرين يتأهّل لأن يكون كاهناً نصرانياً فلما مَنَّ الله عليه بالإسلام لم يزايله مزاج الزهد وقد أورثه لأولاده الرجال والنساء، وكانت حفصة أكبر ولده وحان لها أن تروي عن أم عطية الأنصارية وعن أنس بن مالك وعن أم الحسن البصري وعن جماعة من الصحابة واتفق لها الشيخان على سبعة أحاديث وانفرد كل منهما بحديث وأورد لها أحمد في مسنده تسعة أحاديث[1].

وهي سيدة من سيدات التابعيات.

عن أبي الدرداء قال: سيدات التابعيات هن «حفصة بنت سيرين وعمرة بنت عبد الرحمن وأم الدرداء الصغرى»[2].

وقد ذكرها ابن حبان في الثقات وقال يحيى بن معين: ثقة حجة[3].

---

(١) المسند (١/ ٤٠٧)، الخلاصة ص٤٩٠.
(٢) أعلام النساء (١/ ٢٧٣).
(٣) أعلام النساء (١/ ٢٧٤).

وقد روت عن أخيها يحيى وأنس بن مالك وقيل روت عن سلمان بن عامر والضبي، وروى عنها محمد بن سيرين وقتادة وعاصم الأحول وأيوب وخالد الحذاء وابن عون[١].

وقد اشتهرت بالعلم بالقرآن الكريم وكانت كثيرة القراءة له. عن عبد الكريم بن معاوية قال: «ذُكر لي عن حفصة أنها كانت تقرأ نصف القرآن في كل ليلة»[٢].

وعن هشام بن حسان قال عنها: «قرأت القرآن وهي ابنة اثنتي عشرة سنة»[٣].

وعن هشام أيضاً: أن ابن سيرين كان إذا أشكل عليه شيء في القراءة قال: «اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأ»[٤].

وكانت مشهود لها بالعقل والصلاح.

عن هشام بن حسان قال: «قد رأيت الحسن وابن سيرين وما رأيت أحداً أُرى أنه أعقل من حفصة».

وقال إياس بن معاوية: «ما أدركت أحداً أفضله على حفصة»[٥].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) صفة الصفوة (٤/ ٢٢).
(٣) المصدر السابق.
(٤) صفة الصفوة (٤/ ٢١).
(٥) الخلاصة ص١٩٦.

وهكذا كانت السيدة حفصة خير نموذج للمرأة العالمة بكتاب الله وسنة حبيبه المصطفى ﷺ.

وتوفيت السيدة حفصة سنة إحدى ومائة[١].

وعن أم سليم بنت سيرين قالت: «ربما نُوِّر لحفصة بنت سيرين بيتها»[٢].

وهكذا العلم والعمل بكتاب الله، وهكذا تكون البيوت التي يكثر فيها تلاوة كتاب الله فهي بيوت تضيء في الأرض وفي السماء فعليك أختاه بالعلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعليك بتربية أولادك على حبه لتكتبي مع الصالحات في سجل نساء صنعن علماء ولكي نُعيد للإسلام مجده:

أخا الحديث ويا بقية سلفنا
ارو الغليلَ بشيخنا الألباني
وانشر علومَ السابقينَ وَاوِنَا
لِلَّه دَرُّك من فتًى رباني[٣]

(١) البداية لعبد العزيز سيد الأهل ص١٦٢.
(٢) صفة الصفوة (٤/ ٢٢).
(٣) الأبيات من بحر الكامل.

٨ ـ مُعاذة العدوية[*]

هي أم الصهباء معاذة بنت عبد الله، السيدة العالمة العدوية البصرية العابدة زوجة السيد القدوة صلة ابن أشيم، روت عن علي بن أبي طالب وهشام بن عامر وأكثرت عن عائشة[١].

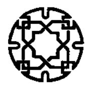
وقد روت عن أم المؤمنين عائشة العديد من الأحاديث: عن الآنية وصلاة الضحى والطهارة وفي تخيير النبي لنسائه[٢]. حدَّث عنها أبو قلابة ويزيد الرِّشك ـ بكسر الراء المشددة وسكون الشين ـ وعاصم الأحول وأيوب السختياني[٣].

قال الذهبي: بلغني أنها كانت تحيي الليل وتقول: «عجبي لعين تنام وقد علمت طول الرقاد في القبور»[٤].

(*) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٨)، طبقات ابن سعد (٨/ ٤٨٣)، تاريخ الإسلام (٣/ ٣٠٤)، شذرات الذهب (١/ ١٢٢) وكتابي «نساء لها تاريخ» ص١٥١.
(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٨).
(٢) أحاديث عائشة في مسند أحمد ـ الخلاصة ص٤٥٦.
(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٨).
(٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٨).

وقال أيضاً: «حديثها محتج به في الصحاح وثَّقها يحيى بن معين»(١).

أرَّخ أبو الفرج بن الجوزي وفاتها في سنة ثلاث وثمانين(٢).



(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٩)، شذرات الذهب (١/ ١٢٢).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٩) تاريخ الإسلام (٣/ ٣٠٤).

٩ ـ فاطمة النيسابورية

هي الزاهدة العالمة الفاضلة فاطمة النيسابورية، ولدت في نيسابور إحدى قصبات خراسان وكانت من العارفات أثنى عليها أبو يزيد البسطامي وسألها ذو النون عن مسائل، وقد جاورت بمكة وربما دخلت بيت المقدس، لم يكن في زمانها من النساء مثلها[١].

عن محمد بن الحسن بن علي قال: «سمعت ابن ملوك وكان شيخاً كبيراً رأى ذا النون المصري قال: وسألته مَنْ أجَلُّ من رأيت؟ قال: ما رأيت أجلَّ من امرأة رأيتها بمكة يُقال لها فاطمة النيسابورية، وكانت تتكلم في فهم القرآن وتعجبت منها فسألت ذا النون عنها فقال لي: هي وليَّة من أولياء الله ﷻ وهي أستاذتي»[٢].

وقال أبو يزيد البسطامي: «ما رأيت في عمري إلا رجلاً

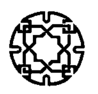
(١) طبقات الصوفية (١/ ٤٠٠)، العبر (٣/ ٢٩٦).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٨٠)، صفة الصفوة (٤/ ١١١)، النجوم الزاهرة (٢/ ٢٣٨).

وامرأة والمرأة فاطمة النيسابورية ما أخبرتها عن مقام من المقامات إلا وكان الخبر لها عياناً»[(١)].

وقال لها ذون النون: «عِظيني وقد اجتمعا ببيت المقدس قالت له: الزم الصدق وجاهد نفسك في أفعالك وأقوالك لأن الله تعالى قال: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١][(٢)].

ومن أقوالها: الصادق المقرب في بحرٍ تضطرب عليه أمواج يدعو ربه دعاء الغريق يسأل ربه الخلاص والنجاة[(٣)].

وهكذا كانت السيدة فاطمة النيسابورية واعظةً للرجال بل كانت تفوق كثير من الرجال في عصرها رحمها الله وألحقنا بركب الصالحات.



(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧٩)، صفة الصفوة (٤/ ١١١).
(٢) طبقات الصوفية (١/ ٤٠١) وشذرات الذهب (٣/ ٣٦٥).
(٣) صفة الصفوة (٤/ ١١١) وطبقات الصوفية (١/ ٤٠١).

١٠ ـ فاطمة السجستانية

هي أم سلمة فاطمة بنت أبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني حفيدة أبي داود السجستاني صاحب السنن، وقد حدَّثت عن أبيها وسمع منها أبو القاسم عبد الواحد بن زوج الحرة ومحمد بن جعفر وغيره[١].

وقد سمع منها خلق إملاء من حفظها في منزل أبي إسحاق المزكي أحد الأعلام الذين أنفقوا في تحصيل الحديث مالاً جماً، وكان قد عُقد له لواء مجلس الإملاء بنيسابور سنة ست وثلاثين وثلاثمائة فحدثت فيه فاطمة إملاء[٢].

كتب محمد بن جعفر بخط يده: حدثتنا أم سلمة فاطمة بنت أبي بكر بن عبد الله بن أبي داود السجستاني إملاء من حفظها[٣].

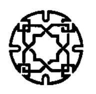
ومن أحاديث فاطمة حفيدة أبي داود قالت: حدثني أبي

(١) تاريخ بغداد (١٤/ ٤٤٢).
(٢) تاريخ بغداد (١٤/ ٤٤٣).
(٣) تاريخ بغداد (١٤/ ٤٤٢).

قال: حدثنا أبي قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم.. إلى عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس**»[١].

وفي معناه حديث آخر هو: «**من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء**» رواه البخاري ومسند أحمد[٢].

وهكذا حملت تلك المرأة المسلمة العلم عن جدِّها لتنشر نور هذا العلم في كل البقاع.



(١) المصدر السابق (١٤/ ٤٤٢).

(٢) المعجم المفهرس للحديث (٣/ ٨٣).

١١ ـ أَمَة الواحد بنت المحاملي[*]

هي أمة الواحد ستيتة بنت القاضي أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل بن محمد الضَّبيِّ المحَامِلي[**] وقد كانت أمة الواحد من أعلم نساء عصرها، فقد فاقت نساء عصرها فحفظت القرآن والفقه والفرائض والعلوم مع الزهد والصدقات وبرعت في فقه الشافعي وصارت مفتية النساء في بغداد وكانت تشارك أبا علي ابن أبي هريرة شيخ الشافعية ببغداد وتفتي معه[١].

قال أبو بكر البرقاني: «كانت بنت المحاملي تفتى مع أبي علي بن أبي هريرة»[٢].

وقال الدارقطني: «أمة الواحد بنت الحسين سمعت أباها

(*) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٦٤)، تاريخ بغداد (١٤/ ٤٤٢)، المنتظم (٧/ ١٨٣)، العبر (٣/ ٤)، شذرات الذهب (٤/ ١٢٣).

(**) المحاملي: نسبة قديمة لبيوت كثيرة عريقة في العلم وهي نسبة إلى من كانوا يبيعون المحامل التي يُركب عليها في الأسفار.

(١) تاريخ بغداد (١٤/ ٤٤٣)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٦٤) وأعلام النساء (١/ ٨٩ ـ ٩٠).

(٢) تاريخ بغداد (١٤/ ٤٤٣)، المنتظم (٧/ ١٣٨).

وإسماعيل بن العباس الورّاق وعبد المغافر. حفظت القرآن الكريم والفقه على مذهب الشافعي والفرائض وحسابها والدور والنحو وغير ذلك، وكانت فاضلة في نفسها كثيرة الصدقة مسارعة في الخيرات حدَّثت عنها وكُتب عنها الحديث»[١].

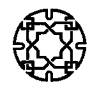
وقد علَّمت هذه المرأة المسلمة الكثير من الرجال وكانت أم لأحد الأعلام وهو القاضي محمد بن أحمد بن القاسم المحاملي، وتوفيت أمة الواحد في شهر رمضان من سنة سبع وسبعين وثلاثمائة[٢]. وجد أمة الواحد هو إسماعيل الضَّبيِّ مُحدث بغداد، سمع قديماً من بعض أصحاب مالك وكذلك كان أبوها مُحدثها[٣].

وقد كانت أمة الواحد من المحظوظات في العلم حيث تعلمت على يد أبيها القاضي أبي عبد الله المحاملي أحد الأعلام في عصره، وقد تعلمت منه كتاب السنن ولم يكن في الأرض أسند منه في زمانه[٤].

ومن أحاديث أمة الواحد: عن الحسن بن محمد الخلال قال: حدثتنا أمة الواحد بنت الحسين بن إسماعيل قالت حدثني أبي.. إلى أبي لهيعة عن أبي الزبير قال: سألت جابراً

(١) شذرات الذهب (٤/ ١٢٣)، العبر (٣/ ٤).
(٢) المنتظم حتى ٢٥٧هـ (٧/ ١٣٨).
(٣) تاريخ بغداد (١٤/ ٤٤٣).
(٤) العبر (٣/ ٤)، طبقات العبادي ص٤٧٢.

أتعتمر المطلقة والمتوفى عنها زوجها أو تحج؟ قال: نعم قُلت: أتتربصا حيث أرادتا، قال: لا. قال جابر: وأخبرتني خالتي أنها طُلقت البتة فأرادت أن تخرج تجد نخيلها فزجرها رجل أن تخرج فأتت رسول الله ﷺ فقال: «**بلى تجدي نخلك فعسى أن تصدقي وتفعلي معروفاً**»[١] وهذه إحدى مشاكل أهل الفتوى وإجابتها في هذا الحديث. وهكذا كانت المرأة المسلمة عالمة صالحة تنشر حديث رسول الله ﷺ وتعلمه للرجال والنساء فرحمة الله عليهن من نساء «نساء صنعن علماء».



(١) تاريخ بغداد (٩/ ٤٤٥).

١٢ ــ كريمة المروزية(*)

هي الشيخة العالمة الفاضلة المسندة أم الكرام كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزية(**) المجاورة بحرم الله(١). وقد جلست كريمة إلى عدد من الأئمة كان من أكبرهم اثنان أكسباها سعة في العلم وقدراً كبيراً من الفهم وحظاً فاق كل خطوط الدراسات، فقد سمعت من أبي الهيثم الكشميهني صحيح البخاري وسمعت عن زاهر بن أحمد السرخسي(٢).

وقد حدَّث عنها الخطيب البغدادي وأبو الغنائم النرسي وأبو طالب الحسيني الزينيّ وأبو المظفر بن السمعاني وأبو

(*) الإكمال لابن ماكولا (٧/ ١٧١)، المنتظم (٨/ ٢٧٠)، التقييد (١/ ٤٩٩)، الكامل (١٠/ ٦٩)، العبر (٣/ ٢٥٤)، البداية والنهاية (١٢/ ١٠٥)، العقد الثمين (٨/ ٣١٠)، شذرات الذهب (٣/ ٣١٤).

(**) المروزية: نسبة إلى مرو أو مرو الشاهجان دون مرو الروذ فإن النسبة إليها مرو روذي وهذه القرى كلها من خراسان ومنها كلها خرج كثير من أئمة السلف وأئمة الخلف كعبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وأبو بكر القفال [معجم البلدان وآثار البلاد في مرو].

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٢).

(٢) الإكمال لابن ماكولا (٧/ ١٣٣).

القاسم علي بن الحسيني خطيب دمشق(١).

قال أبو الغنائم النرسي [وهو أحد الحفاظ الثقات]: أخرجت كريمة إليَّ النسخة بالصحيح فقعدت بجزائها وكتبت، وكتبت سبع أوراق وقرأتها وكنت أريد أن أعارض وحدي فقالت: لا حتى تعارض معي، فعارضت معها قال: وقرأت عليها من حديث زاهر(٢).

وقال أبو بكر بن منصور السمعاني: سمعت الوالد يذكر كريمة ويقول: وهل رأى إنسان مثل كريمة(٣).

وقال: «لم تتزوج كريمة قط، وكان أبوها من كشمهين وأمها من أولاد السياري وخرج بها أبوها إلى بيت المقدس وعاد بها إلى مكة وكانت قد بلغت المائة(٤). وقد كان تفرغ كريمة وطول عمرها حظاً للعلم فقد أخذ عنها العديد من المحدثين صحيح البخاري، فهي تعد راوية البخاري الأولى حيث لا يوجد بينها وبين البخاري غير اثنين بل لم يكن غير واحد، فقد روت عن الكشميهني الذي سمع من الفريري، وكان عند الفريري الأصل الذي خلفه البخاري فكأنها سمعت من الفريري بالوجادة من نسخة البخاري(٥). وهكذا فقد كان

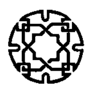
(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٣٤)، المنتظم (٨/ ٢٧١).
(٢) غرر الفوائد (١/ ١٢٠) وسير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٣٤).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٣٤)، العبر (٣/ ٢٥٤).
(٤) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين (٨/ ٣١١).
(٥) اللباب (٢/ ٤١٨)، (٣/ ٩٩)، مرآة الجنان (٢/ ٢٨٦).

عدم زواجها وتفرغها حظاً لكريمة، وحظاً للعلم وحظاً للبخاري وأهل الحديث.

وكان طول عمرها كذلك حظاً للعلم ولقد أبقى الله لها بصرها فكانت ترد على من يقرأ عليها لمجرد نظرها في كتابها. وفي ذلك يقول الحافظ أبو الفضل بن ناصر: «ما رأيت امرأة عجوزاً تضبط بالنظر في كتابها وترد على من يقرأ عليها مثلها»[1].

وهكذا كما صنعت أم البخاري ولدها الذي صنَّف صحيح البخاري، فقد تخرج على يد السيدة كريمة المروزية العديد من العلماء كما قدمنا فكانت بحق من «النساء اللاتي صنعن علماء».

توفيت كريمة المروزية بمكة سنة خمس وستين وأربعمائة[2].



(١) الإكمال لابن ماكولا (٧/ ١٧١)، الكامل (١٠/ ٦٩).
(٢) التقييد (١/ ٤٩٩).

١٣ ــ أم عيسى بنت إبراهيم الحربي[*]

قال عنها الخطيب: أنها كانت فاضلة عالمة تفتي في الفقه[١].

وعن أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت، ذكر أن أم عيسى بنت إبراهيم الحربي كانت فاضلة عالمة تفتي في الفقه ودفنت في جنب أبيها إبراهيم[٢].

وقال أبو الأزهر عن طلحة بن محمد أن أم عيسى بنت إبراهيم الحربي ماتت سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة[٣].

(*) البداية والنهاية (١١/ ١٩٦)، صفة الصفوة (٢/ ٣٤٠)، والمنتظم من ٢٥٧هـ (٦/ ٣١٥)، تاريخ بغداد (١٤/ ٤٤٢).

(١) تاريخ بغداد (١٤/ ٤٤٢).

(٢) صفة الصفوة (٢/ ٣٤٠).

(٣) المنتظم من ٢٥٧هـ (٦/ ٣١٥) والبداية والنهاية (١١/ ١٩٦).

١٤ ــ عائشة الوصابية

هي أم الفتح عائشة بنت حسن بن إبراهيم الوصابية(*) الوركانية(**) الأصبهانية الواعظة العالمة المسندة، وكان سماع عائشة للحديث في أصبهان ومع ما اتصفت به من العلم والصلاح والقدرة على الوعظ، فقد رزقت في الحديث حظاً كبيراً إذ سمعته وروته عن الحافظ الكبير عبد الله بن منده وكتبت الإملاء عنه بخطها[1].

وسمعت من محمد بن جشنس الراوي عن ابن صاعد ومن عبد الواحد بن شاة وجماعة.

(*) معجم البلدان (٥/ ٣٧٣)، اللباب (٣/ ٣٦١)، العبر (٣/ ٢٤٧)، شذرات الذهب (٣/ ٣٠٨).
الوصابية: نسبة إلى وَصاب ـ بفتح الواو ـ نسبة إلى قبيلة أو مكان والقبيلة من بني سهل بن عبد شمس والمكان جبل يحاذي زبيد باليمن وفيه عدة قرى وحصون يسكنها قوم عصاه لا طاعة عليهم لسلطان إلا عنوة [معجم البلدان ٥/ ٣٧٣].

(**) الوَرْكَانِية: نسبة إلى وركان ـ بفتح وسكون وهي قرى كثيرة متفرقة بهذا الاسم.

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٠٢)، العبر (٣/ ٢٤٧).

وحين سمعت عائشة من ابن منده فقد اتسعت روايتها إذا كانت مما جمع شيخها وصنَّف في الكلام والتاريخ والحديث، ولما كانت عائشة قد ولدت سنة سبعين وثلثمائة وهو العام الذي بدأ يحدث فيه ابن منده بأصبهان، فقد سمعت منه حضوراً ـ أي وهي صغيرة لم تبلغ الخمس ثم ظلت تسمع حديثه نحواً من ربع قرن من الزمان بل وربما روت عنه بالوجادة ـ أي فيما وجدت في كتبه التي جمعها والتي صنّفها.

وسمع منها الحديث جماعة أشهرهم: أبو العباس أحمد بن أبي منصور بن ينال[١] ومحمد بن حمد الكبرتي وإسماعيل الحمامي المعمر[٢].

قال ابن السمعاني: «سألت الحافظ إسماعيل عنها فقال: «امرأة صالحة عالمة تعظ النساء وكتبت أمالي ابن مندة عنه وهي أول من سمعت منها الحديث، بعثني أبي إليها وكانت زاهدة»[٣].

وقد روت عن أم الفتح عالمة مسلمة أخرى هي أم الرضا ضوء بنت حمد بن علي الأصبهانية التي كان مولدها عام ولد ابن ينال وكأنهما تجاورا في السماع.

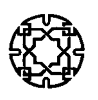
وأم الرضا صارت محدثة ذات دين وصلاح وبر وإحسان،

---

(١) الإكمال لابن ماكولا (١/ ٢٥١)، اللباب (٣/ ٣٦١).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٠٢)، شذرات الذهب.
(٣) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٠٢)، العبر (٣/ ٢٤٧).

ثم كانت ألصق الرواة بعائشة إذ كانت عائشة جدة أبيها حمد بن علي. وقد كتب السمعاني وغيره عن ضوء حين حدثته بأصبهان(١).

وتوفيت عائشة عن ستة وستين وأربعمائة فرحمها الله من عالمة صنعت علماء وعالمات مسلمات.



(١) أعلام النساء (٢/ ٣٦٠)، (٣/ ١٣٣).

١٥ ـ فاطمة بنت الدقاق(*)

هي فاطمة بنت الأستاذ أبي علي الحسن بن علي بن الدقاق(**) النيسابورية الزاهد العارف[١].

وقد نشأت فاطمة في منزل الدقاق الذي هو أحد العلماء الذين صنَّفوا الصحيح على شرط مسلم بن حجاج، فكان هذا الجو وتلك القيود في تدوين الصحيح وروايته عامل قوي في سيرة فاطمة ونشأتها.

وقد كانت سيرة فاطمة من أجلِّ السير وأكثرها أثراً وأبعدها في الزمن امتداداً فقد تأثرت بأبيها وإلى جانب ذلك تأثرت بزوجها أبي القاسم القشيري الإمام الكبير، الذي كان زواج فاطمة منه سبب في علو قدرها حيث روت الحديث بإسناد عالي إذ حدَّثت عن فقهاء أئمة حدّثوا عن أئمة فقهاء.

قال عنها الذهبي: «الشيخة العابدة العالمة أم البنين

(*) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧٩)، العبر (٢/ ١٤٨).
(**) الدقاق: نسبة إلى عمل الدقيق وطحنه.
(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧٩).

النيسابورية أهل الأستاذ أبي القاسم القشيري وأم أولاده»[١].

وقال أيضاً: «كانت عابدة قانتة متهجدة كبيرة القدر[٢]، وقد روت بنت الدقاق عن أبيها وعن زوجها وسمعت من أبي نعيم الإسفرائيني وأبي الحسن العلوي وعبد الله بن يوسف وأبي علي الروذباري وأبي عبد الله الحاكم وطائفة»[٣].

وقد حدَّث عنها عبد الله بن الفراوي وزاهر الشحامي وأبو الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد حفيدها وآخرون[٤].

وقد أنجبت السيدة فاطمة أربعة أولاد كانوا أغصان لشجرة مباركة، وصاروا أئمة في العلم والحديث وهم: أبو سعد عبد الله وهو أكبر الإخوة كان إماماً فارعاً، أجله أبوه وأنزله منزلة الأقران[٥].

والثاني أبو سعيد عبد الواحد بدأ سماع الحديث حضوراً في الرابعة من عمره ثم صار صالحاً فاضلاً وروى الحديث عن جماعة[٦].

وثالثهم أبو نصر عبد الرحيم وقد أشبه أباه في علومه

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧٩).
(٢) المصدر السابق، العبر (٢/ ١٤٨).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧٩)، الشذرات (٣/ ٣٦٥).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧٩).
(٥) شذرات الذهب (٣/ ٣٥٤).
(٦) الشذرات (٣/ ٤٠١).

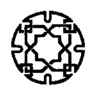
ومجلسه، وأطبق علماء بغداد على تفضيله وقال فيه إمام الحرمين الجويني:

معاني النجابة مجموعة
بعبد الرحيم بن عبد الكريم[١]

وآخرهم أبو المظفر عبد المنعم وهو آخر إخوته حدَّث عنه البيهقي والكبار[٢].

وقد امتد أثر هؤلاء الأولاد إلى الأحفاد وهكذا كانت الأم مباركة والأولاد والأحفاد كذلك، وكانت خير أسرة صنعت علماء وحملت العلم الذي منَّ الله به على تلك الأسرة المباركة.

وقد توفيت السيدة فاطمة في ذي القعدة سنة ثمانين وأربع مئة ولها تسعون سنة[٣].



(١) شذرات الذهب (٤/ ٤٥).
(٢) شذرات الذهب (٤/ ٩٩).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧٩)، العبر (٢/ ١٤٨).

١٦ ـ فاطمة بنت زَعبل(*)

هي فاطمة بنت أبي الحسن علي بن المظفر بن الحسن بن زَعبل البغدادي، تكنى بأم الخير النيسابورية المقرئة، بغدادية الأصل، كانت ولادتها سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ووفاتها سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة فامتد عمرها إلى ما فوق التسعين بثلاث سنوات(١).

وقال الذهبي: «توفيت في أوائل المحرم في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة»(٢).

قال أبو سعيد السمعاني: «سمعت فاطمة من أبي الحسين الفارسي صحيح مسلم وغريب الخطابي، وكانت شيخة من أهل القرآن تعلمه للجواري ـ الفتيات ـ ثم كانت تلقن النساء ـ أي تفهمن ـ القرآن والعلم بالغريب وروايته لا يطيقه إلا أئمة

(*) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٦٢٥)، العبر (٤/ ٨٩)، الإكمال لابن ماكولا (٣/ ٣٠)، التقييد (١/ ٤٩٨)، شذرات الذهب (٤/ ١٧٠)، كشف الظنون (٢/ ١٢٣).

(١) العبر (٤/ ٨٩) والإكمال (٣/ ٣٠).

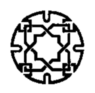
(٢) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٦٢٥).

اللغة الكبار، فإقدام فاطمة عليه يدل على تمكنها من اللغة وفهم الحديث[١].

وقال عنها أيضاً: «امرأة صالحة عالمة»[٢].

قال الذهبي: «حدَّث عنها أبو سعد السمعاني وأبو القاسم بن عساكر والمؤيد بن محمد وزينب الشعرية وجماعة»[٣].

وتوفيت ـ كما سبق ـ في أوائل المحرم سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وقيل سنة ثلاث وثلاثين[٤].



(١) الإكمال لابن ماكولا (٤/ ٧٩)، والشذرات (٤/ ١٧٠)، وكشف الظنون (٢/ ١٢٣).
(٢) التقييد (١/ ٤٩٨)، سير أعلام النبلاء (١٩/ ٦٢٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٦٢٥).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٦٢٥).

١٧ ـ أم البهاء فاطمة البغدادية(*)

هي فاطمة بنت محمد بن أبي سعيد أحمد بن الحسن بن علي بن سليمان البغدادي، مولدها بعد الأربعين وأربع مئة[١].

سمعت من أحمد بن محمود الثقفي وإبراهيم بن منصور سبط بحراويه وأبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي المقرىء وسعيد بن أبي سعيد العيار[٢].

ومن شيوخ أم البهاء هؤلاء الذين سمعت منهم تعرف مدى سعة علم هذه المرأة المسلمة العالمة وروايتها، كما أنها كانت واعظة متأثرة في ذلك بأبي الفضل الرازي الزاهد المتوكل، ثم يذهب الظن وراء إحسانها الوعظ وإسنادها إلى الدليل من الحديث الصحيح ومما سمعته من أبي سعيد العيار وقد أعانها كل ذلك على دقة اختيارها لما تعظ به ويبدو أنه لذلك كله كنّوها بأم البهاء[٣].

(*) التحبير (٢/ ٤٣٢)، شذرات الذهب (٤/ ١٢٣)، العبر (٤/ ١٠٩)، سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٤٨)، التقييد (١/ ٤٩٩).

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٤٨).

(٢) التحبير (٢/ ٤٣٢)، التقييد (١/ ٤٩٩).

(٣) المرآة (٣/ ٢٧١)، سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٤٨).

قال الذهبي عنها: «الشيخة العالمة الواعظة المعمرة مسندة أصبهان».

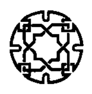
وقال أبو سعيد السمعاني بعد أن نسبها:

«امرأة صالحة سمعها أبوها وعمَّرت حتى تفردت»[١].

وقد حدَّث عنها السمعاني وابن عساكر وأبو موسى المديني وعبد اللطيف بن محمد الخوارزمي وابن بنتها داود بن معمر[٢].

قال عنها السمعاني شيخة مُعمرة مسندة[٣].

وهكذا تلقت السيدة أم البهاء العلم ودرّسته لأعلام من أئمة العلم، وفي ذلك تكون وبحق من خير النساء «نساء صنعن علماء».



(١) التقييد (١/ ٤٩٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٤٨).
(٣) المصدر السابق.

١٨ ـ شُهدة الكاتبة

هي شُهدة بنت المحدث أبي نصر أحمد بن الفرج الإبري ـ نسبة إلى بيع الإبر التي يُخاط بها ـ الدينوري[*] ثم البغدادي[١].

وهي بغدادية المولد وولدت بعد الثمانين وأربع مائة، قال عنها الذهبي: «مسندة العراق وفخر النساء»[٢].

وقد روت شهدة عن طائفة من الأعلام واتسعت روايتها عن طراد وأبو الحسين السراج: فروت عن الأول كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام، وروت عن الثاني حكايات وأقاصيص ذكرها ابن الجوزي في كتابه (ذم الهوى) ثم روت عدداً وفيراً من الكتب والأجزاء والغرائب والجوامع والأمالي[٣].

وقد سمعت من ابن طلحة النعالي وأبي الحسن بن أيوب

(*) الدينوري: نسبة إلى دينور.
(١) التقييد (١/ ٥٠١).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٤٢).
(٣) شذرات الذهب (٢/ ٢٤٨).

وأبي الخطاب بن البطر وعبد الواحد بن علوان وأحمد اليوسفي وثابت بن بنداد وجعفر السراج وأبي الفوارس طراد الزينبي[(١)].

قال ابن العماد: «دينة عالمة عابدة صالحة سمّعها أبوها الكثير»[(٢)].

ورواية شهدة لكتاب الأموال وقراءته عليها وإخبارها بتفاصيله وحروفه دليل على علو درجتها في العلم والرواية، وخوضها في دقائق الفقه التي لم تتيسر لكثير من أئمة الرجال والنساء.

وقد قرأ عليها هذا الكتاب العديد من الأعلام ـ كتاب الأموال ـ أشهرهم الإمام أبي الحسن التلمساني.

قال القرطبي: أنبأنا الشيخ الفقيه الإمام أبو القاسم عبد الله عن أبيه الشيخ الفقيه الإمام المحدث أبي الحسن علي بن خلف التلمساني قال: قُرِىء [أي كتاب الأموال] على الشيخة العالمة فخر النساء شهدة بنت أبي النصر الدينوري وذلك بدارها بدار السلام[(٣)].

وقد حدَّث عنها ابن عساكر والسمعاني وابن الجوزي وعبد الغني وعبد القادر الرهاوي، وابن الموفق الشيخ العماد

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٤٢).
(٢) شذرات الذهب (٢/ ٢٤٨).
(٣) تفسير القرطبي (١٠/ ٥).

والشهاب بن راجح وأبو القاسم بن قميرة وغيرهم[١]. وقد روت شُهدة أجزاءً من أمالي المحاملي وأمالي البحتري على عدد من الشيوخ وجزءاً، من كتاب الديباج لإسحاق بن إبراهيم الخعكي، وجزءاً من كتاب الجامع لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، وجزءين من منتقى ابن شاذان، وجزءاً من كرامات الأولياء للحسن الخلال، وقطعة من كتاب الخيل من ثابت بن بنداد، وجزءاً من حديث أبي سهل القطان، وروت أجزاء من غرائب مالك بن أنس[٢].

قال ابن الجوزي: «قرأت عليها وكان لها خط حسن»[٣].

تزوجت ببعض وكلاء الخليفة وخالطت الدور والعلماء ولها بر وخير وعمَّرت حتى قاربت المئة[٤].

قال الشيخ الموفق: «انتهى إليها إسناد بغداد، وعمَّرت حتى ألحقت الصغار بالكبار»[٥].

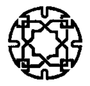
وقال صاحب التقييد: «لها رواية في مسند مسدَّد عن ثابت بن بُنداد»[٦].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٤٢).
(٢) العبر (٥/ ٢٤٩)، الشذرات (٤/ ٢٤٨).
(٣) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٤٢).
(٤) التقييد (١/ ٥٠١).
(٥) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٤٢).
(٦) التقييد (١/ ٥٠٢).

توفيت في رابع عشر المحرم سنة أربع وسبعين وخمسمائة وحضرها خلق كثير وعامة العلماء[1].

فرحم الله تلك العالمة التي علَّمت العلم وكانت بحق من خير النساء «نساء صنعن علماء».



(١) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٤٣)، شذرات الذهب (٤/ ٢٤٨)، العبر (٥/ ٢٤٩).

١٩ ـ أم خلف الشحامية

هي سعيدة بنت أبي القاسم زاهر بن طاهر الشحامي من أهل نيسابور.

قال عنها صاحب التحبير في المعجم الكبير: «امرأة عفيفة ستيرة صالحة عالمة، كانت قد أسنت وعمَّرت حتى تفردت برواية قطعة صالحة من الحديث. سمعت جدها أبا عبد الرحمن بن طاهر وأبا سعد عبد الرحمن بن منصور وعثمان المحمى وأبا بكر الشيرازي وغيرهم».

وقال أيضاً [أي السمعاني] كتبت عنها أجزاء بنيسابور[١]. وكانت ولادتها سنة ثمان أو سبع وستين وأربعمائة بنيسابور، وتوفيت في سحر يوم السبت السابع من شهر رمضان سنة سبع وأربعين وخمسمائة[٢].

---

(١) التحبير للسمعاني (٢/ ٤١١).

(٢) المصدر السابق.

٢٠ ـ فاطمة بنت عباس البغدادية(*)

هي فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح البغدادية، أم زينب الواعظة العالمة الفقيهة الزاهدة القانتة سيدة نساء زمانها[١].

قال ابن العماد: «انتفع بها خلق من النساء وتابوا، وكانت وافرة العقل والعلم قانعة باليسير حريصة على النفع والتذكير ذات إخلاص وخشية وأمر بالمعروف»[٢]. وقال ابن حجر: «كانت تدري الفقه جيداً وكان ابن تيمية يثني عليها ويتعجب من حرصها وذكائها، وانتفع بها نساء أهل دمشق لصدقها في وعظها وقناعتها. ثم تحولت إلى القاهرة فحصل بها النفع وارتفع قدرها وبَعُدَ صيتها، وكانت تفقهت بالشيخ ابن أبي عمر وقلَّ من أنجب من النساء مثلها»[٣].

توفيت ليلة عرفة سنة أربع عشرة وسبعمائة[٤].

(*) شذرات الذهب (٣/ ٣٤)، الدرر الكامنة (٤/ ٢٦٥)، العبر في خبر من غَبَر (٦/ ٨٠).

(١) شذرات الذهب (٣/ ٣٤)، الدرر الكامنة (٤/ ٢٦٥).

(٢) شذرات الذهب (٣/ ٣٤).

(٣) الدرر الكامنة (٤/ ٢٦٥)، العبر في خبر من غَبَر (٦/ ٨٠).

(٤) الدرر الكامنة (٤/ ٢٦٥).

٢١ ـ أم محمد الطبرية

هي أم محمد ـ وقيل أم الكرام ـ ظريفة بنت أبي الحسن بن أبي القاسم بن أبي علي بن أبي زيد المأمون الطبري، من أهل طبرستان من بيت الحديث[١].

قال صاحب التحبير: «امرأة صالحة عفيفة عالمة سكنت (بلخ)»[*]. وسمعت الإمام أبا المحاسن عن الواحد بن إسماعيل الروياني الطبري وسمعت [أي السمعاني] منها حديثاً واحداً ببلخ وهي أم صاحبنا الحافظ الطبري محمد بن أبي الفوارس[٢].

توفيت ببلخ يوم الجمعة في أواخر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وخمسمائة[٣].

---

(١) التحبير (٢/ ٤٢١).

(*) مدينة مشهورة بخراسان في كتاب الملحمة [معجم البلدان (١/ ٤٦٨)].

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

٢٢ ـ ست الوزراء التنوخية

هي أم محمد وزيرة بنت عمر بن أسعد بن المنجا بن أبي البركات التنوخي، وتدعى ست الوزراء بنت القاضي شمس الدين الحنفي الدمشقية[(١)].

حدَّثت بصحيح البخاري وبمسند الشافعي بدمشق ومصر مرات[(٢)].

سمعت علي الحسين بن المبارك الزبيدي صحيح البخاري بالجامع المظفري ومسند الشافعي، وسمعت من والدها وحدَّثت بالكثير وسمع منها الواني وابن المحب والقاضي فخر الدين المصري والعلائي وابن قاضي الزبداني، وحضرها أبو هريرة بن الذهبي[(٣)].

وحدَّث عنها عبد النورين علي المغربي المكناسي المقرىء[(٤)].

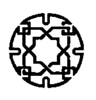
(١) ذيل التقييد (٢/ ٣٩٦)، طبقات المحدثين (١/ ٢٣٠).
(٢) شذرات الذهب (٣/ ٤٠) والعبر (٦/ ٨٨).
(٣) ذيل التقييد (٢/ ٣٩٧).
(٤) الدارس (١/ ٢٢٥).

وسمع منها مسند الشافعي علي بن يعقوب البكري الحريري[١].

وسمع منها محمد بن إسماعيل الزواوي (صحيح البخاري) وحدَّث به عنها في القاهرة[٢].

قال عنها ابن كثير: الشيخة الصالحة ست الوزراء بنت عمر بن أسعد راوية صحيح البخاري، وكانت من الصالحات، توفيت ليلة الخميس ثامن عشر من شعبان ودفنت بتربتهم فوق جامع المظفري بقاسيون[٣].

وتوفيت في ست وعشر وسبعمائة ولها اثنان وتسعون سنة[٤].



(١) الدرر الكامنة (٤/ ١٩٤).
(٢) النجوم الزاهرة (٩/ ٢٣٧).
(٣) البداية والنهاية (١٤/ ٧٩).
(٤) ذيل التقييد (٢/ ٣٩٧).

٢٣ ـ عائشة بنت عبد الهادي[*]

هي عائشة بنت محمد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الصالحية الحنبلية المذهب محدثة دمشق[١].

ولدت سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وحضرت في أوائل الرابعة من عمرها جميع صحيح البخاري على مُسند الآفاق الحجّار[٢].

أسمعت صحيح مسلم على جماعة من أصحاب بن عبد الدائم ومعظم السيرة على عبد القادر بن الملوك، وشاركت أختها فاطمة في كثير من المسموعات والمجازات، وتفردت بالسماع من الحجَّار وجُماعة، وسمع منها الرحَّالة فأكثروا وكانت سهلة الأسماع سهلة الجانب[٣].

(*) الضوء اللامع (١٢/ ٨١)، إنباء العمر (٧/ ١٣٢)، شذرات الذهب (٩/ ١٧٨) وأعلام النساء (٣/ ١٨٧).

(١) شذرات الذهب (٩/ ١٧٨).

(٢) إنباء العمر (٧/ ١٣٢).

(٣) الضوء اللامع (١٢/ ٨١).

روت عن خلق، وروى عنها الحافظ بن حجر كتباً عديدة كصحيح البخاري وقُرىء عليها الحديث المسلسل بالأولية من مسند الدارمي وأجازت لأبي الفتح العثماني مروياتها، وكانت في آخر عمرها أسند أهل زمانها مكثرة سماعاً وشيوخاً[١].

وكانت آخر من حدَّث عن الحجَّار هي السيدة عائشة، وقد تعجب ابن حجر من ذلك وقال:

«العجيب أن ست الوزراء كانت آخر من حدثت عن ابن الزبيدي بالسماع، ثم كانت عائشة آخر من حدَّث عن صاحبه الحجَّار بالسماع وبين وفاتيهما مائة سنة»[٢].

وهكذا بتعجب الحافظ ابن حجر من هذا الشأن العظيم الذي بلغته كلتا العالمتين، والذي بالتالي يُعدُّ وسام شرف للمرأة المسلمة العالمة التي حملت العلم ونشرته على مر الأيام والعصور.

وهذا أمر يدعو للعجب فكم كانت المرأة المسلمة العالمة إنسانة عظيمة حاملة للعلم وصانعة للعلماء!!

(١) أعلام النساء (٣/ ١٨٧).
(٢) شذرات الذهب (٩/ ١٧٨)، أعلام النساء (٣/ ٨٧).

٢٤ ـ عائشة بنت إبراهيم

هي أم فاطمة عائشة بنت إبراهيم بن صديق زوجة الحافظ جمال الدين المزي[١].

قال عنها ابن كثير: «العابدة الصالحة العالمة قارئة القرآن، كانت عديمة النظير في نساء زمانها لكثرة عبادتها وتلاوتها وإقرائها القرآن العظيم بفصاحة وبلاغة وأداء صحيح يعجز كثير من الرجال عن تجويده، قرأ عليها من النساء خلق وانتفعن بها وبصلاحها ودينها وزهدها في الدنيا وتقللها منها مع طول العمر بلغت ثمانين سنة أنفقتها في طاعة الله صلاة وتلاوة»[٢].

توفيت عشية يوم الثلاثاء، فرحمها الله من عالمة عابدة زاهدة قارئة لكتاب الله خير الكتب.

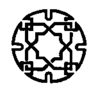
---

(١) البداية والنهاية (١٤/ ١٨٩).

(٢) البداية والنهاية.

٢٥ ـ فاطمة بنت فخراور الكنجي

هي العالمة أم الحسن وأم محمود، ولدت سنة ثمان وخمسين وستمائة وسمعت من عبد الرحمن بن يوسف المنبجي جزء ابن ترتال، وعلي ابن علّاق جزء البطاقة، وعلي ابن عزون الجمعة للنسائي والناسخ لابن مرداس النحوي، وسمعت من آخرين وحدَّثت. وسمع منها الحلبي وغيره وماتت في نصف شوال سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة[١].



(١) العبر في خبر من غَبَر (٦/ ٨٠).

٢٦ ـ زينب الأندلسية

هي زينب بنت الخليفة أبي يعقوب يوسف بن الخليفة أبي محمد عبد المؤمن بن علي. ولدت بالأندلس وتزوجها ابن عمها أبو زيد بن أبي حفص بن الخليفة، أخذت عن أبي عبد الله بن إبراهيم علم الكلام وغير ذلك وكانت عالمة صائبة الرأي معروفة بالتفوق على نساء أهل زمانها[١].

وهكذا كما برعت المرأة المسلمة في بغداد ودمشق ومصر، أظهرت نبوغها وعلمها في الأندلس السليب الذي حكمه المسلمون حوالي ثمانية قرون. وكان للمرأة المسلمة شأن عظيم في العلم فقد كان النساء يخرجن إلى المساجد في قرطبة وإلى سواه من معاهد العلم فيجلسن في حلقات الدروس منتقبات محتشمات[٢].

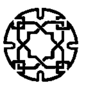
قال الأستاذ عبد الله عفيفي: «وقد ظهر من النساء عدد لا كفاء له في فنون من العلم والأدب، وكان لهن في تلك الحياة

(١) التكملة لكتاب الصلة لأبي عبيد الله بن أبي بكر القضاعي (٤/ ٢٦٣).
(٢) المرأة العربية ص١٢٩.

العاملة شأن نابه وشأو بعيد، ومنهن الشواعر والكاتبات والمحدثات والمتفقهات والمعلمات والمتطببات، وكان نساء الخلفاء والعظماء في غنى عن الأطباء بالطبيبات وعن المعلمين بالمعلمات»[١].

وهكذا كانت المرأة المسلمة وستظل دوماً عالمة متعلمة ما دامت تقتدي بالصالحات السابقات فرحمة الله على زينب الأندلسية وغيرها من مسلمات الأندلس السليب الذي قال عنه الشعراء: [البسيط]

يـــا آل أنـــدلـــس لله دركـــمُ
مـــاءٌ وظـــلٌ وأنـــهـــار وأشـــجـــار
مـا جـنـة الـخـلـد(*) إلا فـي ديـاركـم
ولـو تـخـيـرت هـذا كـنـت أخـتـار



(١) المرأة العربية (٣/ ١٢٩).
(*) وقوله جنة الخلد مبالغة ولكنها تعبر عن روعة الطبيعة الأندلسية.

٢٧ ـ أم السلاطين

ومن الأندلس المفقود إلى المغرب الأقصى تطل علينا المرأة المسلمة العالمة والنساء العالمات فلم تكن المرأة المغربية بنجوة عما كان عليه العالم من علم، فقد تجاذبت أسباب العلم، وأكثر ما عُرف به الممتازات من نساء المغرب الأقصى حفظ القرآن الكريم ورواية الحديث ودرس الفقه والأصول وما إلى هذه من علوم الدين ويذكر أهل ذلك الإقليم ثمانين امرأة من نساء المغرب جمعن إلى النقاد في ذلك كله حفظ مدونة الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه وهي أكبر المطولات الجامعة في الحديث والفقه[1].

ومن أشهر النساء المغربيات العالمات في الماضي: السيدة أم السلاطين خناثى، قيل عنها: «كانت صالحة عابدة أصلَّت العلوم في كفلة والدها الشيخ بكار وقد رأيت [أي صاحب الاستقصاء] بخطها على هامش نسخة من الإصابة لابن حجر وعرف به بعضهم فقال: هذا خط السيدة خناثى أم

(١) المرأة العربية (٣/ ١٥٥).

السلطان المولى بلا شك»[١].

ومن النساء اللاتي اشتهرن بالعلم في الماضي القريب:

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لأبي العباس الناصري.

٢٨ ـ فاطمة الزهراء

ابنة السيد محمد بن أحمد الإدريسي، قال عبد الله عفيفي:

تحفظ القرآن الكريم بقراءاته. وتحفظ كثيراً من كتب الفقه والحديث ولها فوق ذلك صلة وثيقة بالعلوم العصرية. ولم تبارح دار أبيها قط وتخرجت على أبيها وجدّها[1].

وهكذا كان للمرأة المسلمة شأنها في كل مكان ربوع الدولة الإسلامية فكما جادت الشام والعراق ومصر بالعالمات كان للنساء في الأندلس والمغرب الأقصى نصيب من هذا العلم في الماضي البعيد والماضي القريب.

فهل لنا يا أختي المسلمة اللحاق بهذا الركب الطيب من أخواتنا المسلمات الحافظات لكتاب الله والعالمات والفقيهات والمحدثات، هؤلاء النساء اللاتي صنعن الرجال والعلماء عبر العصور المختلفة فكانوا خير نساء: «نساء صنعن علماء».

---

(١) المرأة العربية (٣/ ١٥٦).

٢٩ ـ دهماء بنت يحيى بن المرتضى

وقد نالت المرأة المسلمة درجة كبيرة في العلم والفضل وممن ذكرن بالعلم والفضل، السيدة دهماء بنت يحيى بن المرتضى أخت الإمام المهدي أحمد بن يحيى، وقد أوردها الإمام الشوكاني في كتابه البدر الطالع قال:

«عالمة فاضلة أخذت العلم عن أخيها وقرأت عليه هي والإمام مطهر، ولها مصنفات منها شرح للأزهار في أربعة مجلدات، وشرح لمنظومة الكوفي في الفقه والفرائض، وشرح لمختصر المنتهى»[١].

وقد دَرَّست للطلبة بمدينة «ثلا»[*] حتى ماتت ولها شعر رائع منه ما جاء في مدح كتاب أخيها الأزهار:

يا كتاباً فيه شفاء النفوس[٢]
انتجته أفكار من في الحبوس
أنت للعلم في الحقيقة نور
وضياء بهجة كالشموس

---

(١) البدر الطالع (١/ ٢٤٨).
(*) مدينة بأقصى المغرب معجم البلدان (٣/ ٢٣١).
(٢) المصدر السابق، والأبيات من بحر الخفيف.

٣٠ ـ صفية بنت المرتضى بن المفضل

أوردها الإمام الشوكاني في كتابه البدر الطالع وأورد في فضلها ما جعلني أضمها للمسلمات العالمات قال:

«كانت عالمة فاضلة لها مؤلفات وتزوجت السيد محمد بن يحيى القاسمي لأنه كان عالماً محققاً في علم الكلام فرغبت فيه لقصورها في ذلك الفن، فانتفعت به وانتفع بها في علم العربية»(١).

وهكذا كانت المرأة المسلمة كزوجة معلمة لزوجها ومتعلمة منه، فقد استفادت تلك المرأة الصالحة من علم زوجها بل رغبت فيه لما لديه من علم قد قصرت فيه، وما أجمل أن يكون دافع الزواج بغرض العلم وتعلمه فهذا فضل لا يُضاهيه فضل والأفضل منه ما ورد عن السيدة فاطمة بنت علاء الدين السمرقندي(*) «صاحب تحفة الفقهاء» وكانت فقيهة علاَّمة حفظت التحفة لأبيها وطلبها جماعة من ملوك الروم،

---

(١) البدر الطالع (٢/ ١٠٤).

(*) انظر كتابي (نساء لها تاريخ) ص٢١٠ طبعة دار المعرفة، بيروت.

فلما صنَّفَ أبو بكر الكاساني الملقَّب «ملك العلماء» كتابه «البدائع» وهو شرح التحفة عرضه على شيخه وهو أبوها فازداد به فرحاً وزوّجه ابنته وجعل مهرها منه ذلك فقالوا في عصره: «شرح تحفته وتزوَّج ابنته»[1].

وهكذا كانت المرأة المسلمة عبر كل العصور نموذج لطالبة العلم التي تبذل في سبيله كل نفيس والتي تفضل من يحمل العلم على من يحمل المال، فالعلم يبقى أما المال فإلى زوال:

العلم زينٌ وكنزٌ لا نفاد له
نعم القرين إذا ما عاقلاً صحبا
قد يجمع المرء مالاً ثم يُسَلبُهُ
عما قليل فيلق الذل والحربا
وجامع العلم مغبوطٌ به أبداً
فلا يحاذر فوتاً ولا هربا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه
لا تعدلن به دراً ولا ذهبا

(١) من أخلاق العلماء ص١٢٥. والأبيات من بحر البسيط.

دعوة شعرية للعلم والعمل ونصرة السنة

للشعر أثره في النفوس وفي شحذ همة الإنسان إلى أعلى المعالي، ولقد وقفت على عدة أشعار تحثّ طالب العلم على اللحاق بركب الكواكب العلماء منها منظومة للعلامة أبي إسحاق الإلبيري الأندلسي يحث ولده على طلب العلم والعمل به، فأوردت منها بعض أبياتها لتكون دافعاً لمن تصنع العلماء ولمن تطلب العلم. يقول الإلبيري ينصح ولده أبا بكر: [الوافر]

أبا بكرٍ دعوتُك لو أجبتا
إلى ما فيه حَظُّك لو عَقَلْتَا
إلى علمٍ تكونُ به إماماً
مطاعاً إن نَهَيْتَ وإن أَمَرْتَا
ويجلو ما بعينك من غِشاها
ويهديك الطريق إذا ضللتا
وتحمل منه في ناديك تاجاً
ويكسوك الجمال إذا اعَرَيتا
ينالك نفعه ما دُمْتَ حَيَّاً
ويبقى ذِكرُهُ لك إن ذهبتا

هو العضبُ المُهَنَّدُ[1] ليس يَنْبُو[2]
تُصيبُ به مقاتِلَ من أردتا
وكنز لا تخاف عليه لصاً
خفيف الحَمْل يوجَدُ حيث كُنْتَا
يزيدُ بكثرةِ الإنفاقِ مِنْهُ
وينْقُصِ إن به كفَّاً شَدَدْتا
فلو قد ذُقتَ مِن حُلواهُ طعْماً
لآثرت التعلُّم واجْتَهَدتَا
ولم يشغلك عنه هَوىً مُطاعٌ
ولا دينا بزخفرها فُتِنْتَا
ولا ألهاك عنه أنيق روضٍ
ولا دُنيا بزينتها كَلِفْتا
فقُوتُ الروح أرواح المعاني
وليس بأن طعِمْتَ ولا شَرِبْتَا
فواظِبهُ وخُذْ بالجدِّ فيه
فإن أعطاكَهُ اللَّهُ انتَفَعْتَا
وإن أُعْطِيَت فيه طُول باعٍ
وقال الناسُ إنك قد عَلِمْتا
فلا تأمن سُؤَالَ الله عنه
بتوبيخٍ عِلِمْتَ فهل عَمِلْتَا

---

(١) العضب المهند: السيف المنسوب للهند صناعة وجودة.

(٢) نبا السيف إذا لم يعمل في الضرب به.

فـرأس الـعـلـم تـقـوى الله حَـقًّـا
ولـيـس بـأن يُـقـال: لـقـد رَأَسْـتَـا
وأفـضـلُ ثـوبـك الإحـسـانُ لـكـن
نـرى ثَـوْبَ الإسـاءةِ قـد لَـبِـسْـتَـا
إذا مـا لـم يُـفـدْكَ الـعِـلـمُ خـيـراً
فـخـيـرٌ مـنـه أن لـو قـد جَـهِـلْـتَـا
وإن ألـقـاكَ فـهـمُـك فـي مـهـاوٍ
فـلـيـتـك ثـم لـيـتـك مـا فَـهِـمْـتَـا
سـتـجـني مـن ثـمـار الـعـجـز جـهـلاً
وتـصـغُـرُ فـي الـعـيـون إذا كَـبِـرْتـا
وتُـفـقَـدُ إن جَـهِـلـتْ وأنـت بـاقٍ
وتُـوجَـدُ إن عَـلِـمْـتَ ولـو فُـقِـدتَـا
وتـذكـر قـولـتـي لـك بـعـد حـيـنٍ
إذا حـقـاً بـهـا يـومـاً عَـمِـلْـتَـا
وإن أهـمـلـتـهـا ونـبـذت نـصـحـاً
ومِـلـتَ إلـى حـطـامٍ قـد جـمـعـتـا
فـسـوف تَـعَـضُّ مـن نـدمٍ عـلـيـهـا
ومـا تـغـنِـي الـنـدامـةُ إن نَـدِمْـتَـا

ومن أجمل الأشعار في طلب العلم والحث عليه ما أورده ابن عبد البر عن أبي القاسم أحمد بن عمر قال: [الطويل]

مع العلم فاسلك حيث ما سلك العلم
وعـنـه فـكـاشـف كـل مـن عـنـده فـهـم

فـفـيـه جـلاءٌ لـلـقـلـوبِ من الـعَـمَـى
وعـونٌ عـلـى الـديـنِ الـذي أمـره حـتـم
فـإنـي رأيـت الـجـهـل يـزري بـأهـلـه
وذو الـعـلـم في الأقـوام يـرفـعـه الـعـلـم
يُـعـد كـبـيـر الـقـوم وهـو صـغـيـرهـم
ويـنـفـذ مـنـهـم فـيـهـم الـقـول والـحـكـم
وأي رجـاء فـي امـرىء شـاب رأسـه
وأفـنـى سـنـيـه وهـو مـسـتـعـجـم فـدم
يـروح ويـغـدو الـدهـر صـاحـب بـطـنـه
تـركـب في أحضـانـهـا اللـحـم والشـحـم
إذا سـئـل الـمـسـكـيـن عـن أمـر ديـنـه
بـدت رحـضـاء الـعـي في وجـهـه تـسـمـو
وهـل أبـصـرت عـيـنـاك أقـبـح مـنـظـر
مـن أشـيـب لا عـلـم لـديـه ولا حـكـم
هـي الـسـوءة الـسـوءاء فـاحـذر شـمـاتـهـا
فـأولـهـا خـزي وآخـرهـا ذم
فـخـالـط رواة الـعـلـم واصـحـب خـيـارهـم
فـصـحـبـتـهـم زَيْـنٌ وخـلـطـتـهـم غُـنْـمُ
ولا تـعـدون عـيـنـاك عـنـهـم فـإنـهـم
نـجـومٌ إذا مـا غـاب نـجـم بـدا نـجـم
فـوالله لـولا الـعـلـم مـا اتـضـح الـهـدى
ولا لاح غُـيـب الأمـور لـنـا رسـم

وها هو أحد الشعراء المعاصرين يدعو لطلب العلم(*) يقول: [البسيط]

يـا تـاركـاً لِـمَـراضِـي الله أوطـانـا
وسـالـكـاً فـي طـريـق الـعـلـم أحـزانـا
كن باذِلَ الجِدِّ في علم الحديث تَنَلْ
كـل الـعـلـوم وكُـنْ بـالأصـل مُـشـتـانـا
فـالـعـلـم أفـضـل مـطـلـوبٍ وطـالـبـه
مـن أكـمـل الـنـاس ميـزانـاً ورجـحـانـا
والـعـلـم نورٌ فـكـن بـالـعـلـم مُعْتَصِماً
إن رُمـتَ فـوزاً لـدى الـرحـمـن مـولانـا
وهـو الـنـجـاة وفـيـه الـخـيـر أجـمـعـه
والـجـاهـلـون أخـفُّ الـنـاسِ مـيـزانـا
والـعـلـم يـرفـع بـيـتـاً كـان مـنـخـفـضـاً
والـجـهـل يـخـفـضـه لـو كـان مـا كـان
وأرفـع الـنـاس أهـل الـعـلـم مـنـزلـةً
وأوضـع الـنـاس مـن قـد كـان حـيـرانـا
لا يـهـتـدي لـطـريـق الـحـق مِـنْ عَـمَـهٍ
بـل كـان بـالـجـهـل مـمـن نـال خُـسـرانـا
تـلـقـاه بـيـن الـورى بـالـجـهـل مـنـكـسـراً
لا يـدرِ مـا زَانَـهُ فـي الـنـاس أو شَـانَـا

(*) وهو الشيخ سليمان بن سحمان بن مسفر صاحب المؤلفات العديدة والرسائل المفيدة، وهو أحد علماء المملكة العربية السعودية.

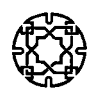
إذا قيل ما هذي المقاييس والهوى
يقولون عاداتُ ونحن نراها
وإن قيل ما شأن المظالم جَهْرةً
يقولون إرهابٌ فقلت بلاها
قلوبٌ لهم لا تعقل الحق بل ولا
تلين لذكر الله عند قَسَاها
وآذانهم صُمٌّ عن الحق والهدى
وأبصارهم قد طال عنه عماها
فصدُّوا وما رَدُّوا شريداً وهدَّموا
قواعِدَ خيرُ المرسلين بناها
فغوثاه واغوثاه هل من مثابر
يزيل قذاها سيْفُه وشجاها
إذا سُلَّ من نور الشريعة صارماً
على ظلمة الظالمين جَلاها
فها سنةُ المعصوم خِيرة خلقه
شكت بلسان الحال طول جفاها
فيا من لهم في الدين أقصر همةٍ
إلى كم تمنون النفوس مناها
نرى كل يومٍ مُنكراتٍ قطيعة
ولا نتحامى عارها وعَرَاها
تعالوا بنا نُحي رياضاً من العلى
ونرفع أعلام الهدى وذُراها

ويتبعونه في كل أمر
كراع الضأن تتبعه السوام
ويُحمل قوله في كل أفق
ومن يك عالماً فهو الإمام
فلولا العلم ما سعدت نفوسٌ
ولا عُرِفَ الحلال ولا الحرام
فبالعلم النجاة من المخازي
وبالجهل المذلة والرغام
هو الهادي الدليل إلى المعالي
ومصباحٌ يضيء به الظلام
كذاك عن الرسول أتى عليه
من الله التحية والسلام

وهذا شاعر آخر يحثّ الأمة على طلب العلم ونُصرة السنة يقول: [الطويل]

فيال عباد الله هل من محقق
على شِرعة المختار ردّ رواها
خليليَّ هَلاَ قد وجدتم مُهذَّباً
إذا بُثت الشكوى إليه وعاها
فإن تجداه فالمرام وجدتُما
وإلا فصونا وجها وقفاها
فواحَزَناً من هجر سنة أحمدِ
بغير تحاشٍ وانتهاك حماها

وعن سنته، لينال العلو والرفعة في الدنيا، والدرجة العالية يوم القيامة، وتنالي أنت الوسام الذي علقه التاريخ على بعض النساء بأنهن نساء صنعن علماء... ألا ترغبين في هذا الوسام؟؟؟



وفكوا عن الأفكار أقياد شُغلِها
لتنظر في عُقبى مآل عُلاها
فما الله عما تعملون بغافلٍ
سيجزى العِدى يوم الجزا بجراها
ففي الذكر أخبارٌ بسوء مآلهم
إذا رامها مَن شاءَها سيراها
بربِّكما رُدَّ سلامي على امرىء
عن السنةِ الغَرَا أماط قذاها
خليليَّ هل من سامعٍ لشكيتي
إذا بُحتُ بالشكوى ينلُّ صداها
فإن تجداه فاكشفا عن نِقَابها
وإلا فبالكفؤ الكريم عِدَاها
ألم تسمعوا تحريف سنة أحمدٍ
وسوم الأعادي في مروج حِماها
إذا قيل قال الله قال رسوله
يقولون قال الأكثرون سِواها

أختي المسلمة.. ها هي سنة المصطفى تشتكي.. وقد نصرها من قبل ذلك علماء صنعتهم المرأة المسلمة، مثل الشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من الأئمة الأعلام، الذين نصروا السنة في عصورهم المختلفة، فهل تنهضين لتخوضي هذه المعركة دفاعاً عن السنة؟ وليكن سلاحك فيها علمٌ نافع وولد صالح تصنعين منه عالماً مُخلصاً يذود عن دين أحمد

أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض»[١].

وأخرج ابن أبي داود في كتاب المصاحف عن أبي أمامة قال: «اقرأوا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فإن الله لا يُعذِب قلباً وعى القرآن»[٢].

وفي هذا الحديث دعوة للعمل بكتاب الله وتعلمه وعدم الاعتماد على تعليق القرآن أو حفظه داخل علبة المصحف دون قراءة ودون فهم ودون حفظ. فهل لنا يا أختي المسلمة أن نتعلم كتاب الله ونحفظه حتى تكون قلوبنا واعية لكتاب الله فلا يعذبنا الله.

وعن عقبة بن عامر قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: «**أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين بلا إثم ولا قطيعة رحم**». قلنا: بلى يا رسول الله كلنا نحب ذلك، قال: «**أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل**»[٣].

وعن زيد أنه سمع أبا سلَّام يقول: حدثني أبو أمامة

---

(١) مصنف أبي شيبة (٣٠٠٨١) (٦/ ١٣٣).
(٢) صحّح الحافظ إسناده في فتح الباري (٩/ ٧٩).
(٣) مصنف أبي شيبة (٣٠٠٧٤) (٦/ ١٣٣).

أفضل العلوم

إن العلم بحر خضم يمتلىء بالخيرات، وهو شجرة مثمرة يانعة بأطيب الثمار وهذه الثمرات تتنوع بتنوع شديد وكبير، وأفضل العلوم على الإطلاق هو العلم بكتاب الله ﷻ فهو حبل الله الممتد إلى عباده ليخرجوا به من الظلمات إلى النور.

فخير العلوم هو العلم بالقرآن الكريم.

قال رسول الله ﷺ: **«خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه»**(١).

وقال رسول الله ﷺ: **«الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرؤه ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»**(٢).

وقال رسول الله ﷺ: **«من علّم آية من كتاب الله ﷻ كان له ثوابها ما تُليت»**(٣).

وعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: **«إن الثقلين**

---

(١) رواه البخاري (٥٠٢٧) وأحمد (١/ ٥٨) عن عثمان ﷺ.

(٢) رواه البخاري (٤٩٣٧) ومسلم (٧٩٨) عن عائشة ﷺ.

(٣) رواه أبو سهل القطّان وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٣٥) هذا إسناد جيد عزيز.

عن عبد الله بن عمر قال: «من أراد العلم فليقرأ القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين»(١).

وعن أبي الأسود عن عبد الله أيضاً قال:

«العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور»(٢).

وصدق الله العظيم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس: ٥٧ ـ ٥٨].

قال ابن سعدى: يقول تعالى مرغباً الخلق في الإقبال على هذا الكتاب الكريم بذكر أوصافه الحسنة الضرورية للعباد فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: أي تعظكم وتنذركم عن الأعمال الموجبة لسخط الله المقتضية لعقابه وتحذركم عنها ببيان آثارها ومفاسدها ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ وهو ـ هذا القرآن ـ شفاء لما في الصدر من أمراض الشهوات الصادرة عن الانقياد وأمراض الشبهات القادحة في العلم اليقيني فإن فيه من المواعظ والترغيب والترهيب والوعد والوعيد مما يُوجب للعبد الرغبة والرهبة، وإذا وجدت فيه الرغبة في الخير والرهبة عن الشر وتمت على تكرر ما يرد إليها

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٠٠١٨) (٦/ ١٢٥).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣٠٠٢٠) (٦/ ١٢٥).

الباهلي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**»(١).

قال رسول الله ﷺ: «**إن لله تعالى أهلين من الناس**» قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**اقرأوا القرآن فإنكم تؤجرون عليه أما إني لا أقول (آلم) حرف ولكن ألف عشر ولام عشر وميم عشر فتلك ثلاثون**»(٣).

حقاً إن القرآن تجارة رابحة مع الله ﷻ فهو الشكور الذي يُجازي على العمل القليل بالثواب الجزيل وصدق الله العظيم إذ يقول ﷻ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر: ٢٩].

وعن أبي هريرة: «اقرأوا القرآن وابتغوا ما فيه»(٤).

---

(١) صحيح مسلم (٨٠٤) باب فضل قراءة القرآن.
(٢) رواه أحمد (٣/ ١٢٧) شعب الإيمان (٢/ ٥٥١) وصححه الألباني في (صحيح الجامع).
(٣) رواه أبو جعفر النحاس في الوقف والابتداء وصححه الألباني في صحيح الجامع (١١٦٤).
(٤) الفردوس بمأثور الخطاب (١/ ٩٦) رقم (٣١٢).

القرآن قال: فاقرأ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ﴾ [يونس: ٧١] قال: فقرأت العشر حتى أنفذته قال: اذهب فتعلم الفرائض قال فقلت له: قد حفظت الصُلب والجَدّ والكِبَرَ قال: فأيها أقرب إليك ابن أخيك أو عمك قال قلت: ابن أخي قال: ولم؟ قال قلت لأن أخي ابن أبي وعمي من جدي قال: اذهب الآن فتعلم العربية قال قلت: قد علمتها قبل ذين، قال: فلم؟ قال عمر بن الخطاب حين طُعن يا لَلّه يا لِلمسلمين لم فتح تلك اللام وكسر هذه؟ قال: فتح تلك للدعاء وكسر هذه للاستنصار، قال: لو حدثت أحداً لحدثتك»[١].

وهكذا رتب هذا العالم الخريبي لطالب العلم درجات العلم وبدأه بكتاب الله فهو أول أبواب العلم وهو خير وأفضل العلوم، ولذلك كان الصحابة والتابعين يداومون على القراءة والفهم والحفظ لكتاب الله قال ذو النورين عثمان بن عفان: «لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم»[٢].

وكان عبد الله بن الشخير يقرأ في المصحف حتى يغشى عليه[٣].

وكانت السيدة حفصة بنت سيرين تقوم الليل تتلو كتاب الله كما كانت عالمة بالقرآن والقراءات[٤].

---

(١) تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٩)، سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٥٠).
(٢) ترطيب الأفواه لسيد حسين العفاني (٢/ ٩٢).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣٥٦٤٩) (٧/ ٢٣٦).
(٤) انظر كتابي «نساء لها تاريخ» ص١٧٠.

من معاني القرآن أوجب ذلك تقديم مُراد الله على مراد النفس، وصار ما يُرضي الله أحب إلى العبد من شهوة نفسه، وكذلك ما فيه من البراهين والأدلة التي صرَّفها الله غاية التصريف وبيَّنها أحسن بيان مما يُزيل الشبه القادحة في الحق ويصل به القلب إلى أعلى درجات اليقين، وإذا صحَّ القلب من مرضه ـ بهذه الطريقة ـ ورفل بأثواب العافية تبعته الجوارح كلها فإنها تصلح لصلاحه وتفسد بفساده ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ فالهدى هو العلم بالحق والعمل به و(الرحمة) هي ما يحصل من الخير والإحسان والثواب العاجل والآجل لمن اهتدى به»(١).

وهكذا فالعلم بكتاب الله والعمل به هو الراحة والهدى والشفاء والرحمة، وهو الذكر الحسن في الأرض وفي السماء، عن ابن سابط قال: «إن البيوت التي يُقرأ فيها القرآن لتضيء السماء كما تضيء السماء لأهل الأرض. قال: وإن البيت الذي لا يُقرأ فيه القرآن ليضيق على أهله وتحضره الشياطين وتنفر منه الملائكة»(٢).

وعن محمد بن القاسم المعروف بأبي العيناء قال: «أتيت عبد الله بن داود الخريبي فقال لي: ما جاء بك؟ قلت: الحديث، قال: فاذهب فتحفظ القرآن قال قلت: قد حفظت

---

(١) تفسير ابن سعدى: «تيسير الكريم المنان في تفسير آيات الرحمن» ص٣٢٣.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣٠٠٢٥) (٦/ ١٢٧).

حفظ كتاب الله وفهمه هو الطريق الصحيح لطلب العلم النافع ففي كتاب الله كل الخير والنور.

فهيا أختي المسلمة إلى القرآن الكريم قراءةً وفهماً وحفظاً، ولا تتكاسلي عن هذه الغاية واخلصي النية في طلبك للعلم وفي حفظك لكتاب الله حتى يوفقك الله لحفظ كتابه والعمل به فهو خير شيء تدخرينه لآخرتك إن قبله الله منك وهو مفتاح العلوم وهو خير العلوم.

وصدق الإمام الصنعاني حين قال في وصفه: [الطويل]

كتابٌ حوى كل العلوم وكلَّما
حواه من العلم الشريف صواب
فإن رُمت تاريخاً رأيت عجائباً
ترى آدماً مُذ كان وهو تراب
ولاقيت هابيلاً قتيل شقيقِهِ
يُواريه لما أن رَآهُ غُرابُ
وتنظر نوحاً وهو في الفلك إذ طغى
على الأرض مِنْ ماءِ السَّحاب عُبابُ
وإن شئت كُلّ الأنبياء وقومهم
وما قال كُلٌّ مِنْهُمُ وأجابُوا
وجناتُ عَدْن حُورها ونعيمها
ونار بها للمسرفين عذاب
فتلك لأرباب النقاء وهذه
لكل شقِيٍّ قد حواه عقاب

وهكذا فلأن في القرآن حياة القلوب وشفاء الصدور قدَّره المسلمون والمسلمات حق قدره، فعملوا على قراءته وتعلمه وفهمه، ومن أروع ما جاء في تفضيل القرآن على سائر العلوم ما أورده ابن أبي شيبة في مصنفه:

عن الحسن قال: كان رجل يكثر غشيان باب عمر قال: فقال له عمر: اذهب فتعلم كتاب الله تعالى، قال: ففقده عمر ثم لقيه فكأنه عاتبه فقال:

«وجدت في كتاب الله ما أغناني عن باب عمر»[(١)].

حقاً والله، فإن كتاب الله هو الزاد الذي يستغنى به صاحبه وحامله عن كل زاد وهو الخير كل الخير.

قال أبو عمر: «طلب العلم درجات ومناقل ورتب لا ينبغي تعديها، ومن تعداها جملة فقد تعدى سبيل السلف رحمهم الله، ومن تعدى سبيلهم عمداً ضل ومن تعداه مجتهداً زل، فأول العلم حفظ كتاب الله ﷻ وتفهمه وكل ما يعين على فهمه فواجب طلبه معه، ولا أقول إن حفظه كله فرض ولكن أقول إن ذلك واجب لازم على من أحب أن يكون عالماً»[(٢)].

وهكذا يكون كتاب الله في مقدمة العلوم التي ينبغي على صانعة العلماء تعلُّمها وتعليمها لأولادها وبناتها حتى يكون

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٥٦٣٩) (٧/ ٢٣٦).
(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٤٠٢).

يُريك صِراطاً مستقيماً وغيره
مفاوز جَهْل كُلِّها وشِعَابُ
يزيد على مَرِّ الجَديدَيْن جِدَّه
فألفاظه مهما تلوت عذابُ
وآياته في كل حينٍ طَريَّة
وتبلغ أقصى العمر وهي كِعَابُ
ففيه هُدىً للعالمين ورحمة
وفيه عُلُوم جَمَّةٌ وثوابُ
فكل كلامٍ دونه القشر لا سوى
وذا كُلُّه عند اللبيب لُبابُ
دَعُوا كل قولٍ غيره وسِوى الذي
أتى عن رسول الله فهو صواب
وعُضُّوا عليه بالنواجذ واصبروا
عليه ولو لم يبق في الفم نابُ
تنالون ما ترجون من كُلِّ مَطْلب
إذا كان فيكم هِمَّةٌ وطَلابُ
أَطِيلُوا على السبع الطوال وُقُوفكم
تَدِرُّ عليكم بالعلوم سَحابُ
فكم من ألوفٍ في المِئينَ فكن بها
ألوفاً تجد ما ضاق عنه حِساب
وفي طي أَثْناء المثاني نفائسٌ
يطيب لها نشرٌ ويُفتح بابُ

وإن تُرد الوعظ الذي إن عقلته
فإن دموع العين عنه جواب
تجده وما تهواه من كل مشربٍ
فللروح منه مطعمُ وشَرابُ
وإن رُمت إبراز الأدلة في الذي
تُريد فما تدعو إليه مُجاب
تدل على التوحيد فيه قواطِع
بها قُطِعَت للملحدين رِقابُ
وفيه الدَّوا مِنْ كُلِّ داءٍ فَثِقْ بِهِ
فواللَّهُ ماعته للذّكيّ حِجابُ
ولكن سكان البسيطة أصبحوا
كأنهم عمَّا حَواهُ غِضَابُ
فلا يطلبون الحقَّ منه وإنما
يقولون من يتلوه فهو مُثاب
فإن جاءهم الدليل مُوافِقاً
لما كان للآباء إليه ذِهابُ
رَضُوهُ وإلا قيل هذا مُؤوَّلٌ
ويَركب في التَّأْوِيل فيه صِعابُ
تراه أسير كل حَبْر يقوده
إلى مَذْهبٍ قد قَرَّرَتْه صِحابُ
أتعرض عنه عن رياض أريضَةٍ
وتعتاض جهلاً بالرِّياض هِضابُ

كيف تصنعين عالماً

إن صناعة العلماء الربانيين صناعة عالية القدر تحتاج إليها الأمة الإسلامية ـ هذه الأيام ـ حاجة شديدة. حيث تكاثرت الفتن وتحدَّث الرويبضة(*) في أمر الدين ورزئت الأمة في خير علمائها أمثال الشيخ الشعراوي والغزالي والشيخ ابن باز والشيخ الألباني وأخيراً الشيخ ابن عثيمين رحمهم الله جميعاً رحمة واسعة. في هذه الأيام تحتاج الأمة لمن يخلف هؤلاء العلماء الأفذاذ الربانيين الذين عمَّروا الدنيا بعلمهم وعبادتهم. ورغبةً في أن أساهم في صناعة الخلف الصالح لهؤلاء العلماء السالفين أضع لكِ يا أختي المسلمة بعض الوسائل التي تساعدك في صناعة العلماء:

«**الوسيلة الأولى**: الدعاء: لأنه سنة الأنبياء وجالب كل خير وقد قالﷺ: «**أعجز الناس من عجز عن الدعاء**»[1].

(*) الرويبضة: هو الرجل التافه الذي يتحدث في أمور الأمة.

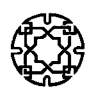
(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥٥٩١) قال الهيثمي في المجمع (٨/ ٣١) ورجاله رجال الصحيح غير مسروق بن المرزبان وهو ثقة. وانظر الصحيحة للألباني (٦٠١).

وكم من فضولٍ في المُفصَّل قد حوت
أصُولاً إليها للذكيّ مآبُ
وما كان في عصر الرسول وصحبه
سِواه الهدى للعالمين كتابُ

حقاً فإن القرآن الكريم خير العلوم وأفضل العلوم، وهو الخير فهلمّي أختي المسلمة إلى كتاب الله ففيه الخير والرحمة والشفاء.

فكن تالياً آي الكِتابِ مُداوياً
بها كُلّ داءٍ فهي أرجى دَوَائهِ
فمنه ينابيع العلوم تفجَّرَتْ
وما فاض من علمٍ فمن عَذْبِ مائِهِ
هدىً وشفاءٌ للقلوبِ ورحمَةٌ
من الله يُشْفي ذو العمى بشفائِهِ

فهيا إلى كتاب الله علماً وتعليماً لتكوني من صانعات العلماء وتكوني من صانعات حملة القرآن وهم خير العلماء ربَّتهم وتربيهم خير نساء «نساء صنعن علماء».



سهامُ الليل لا تُخطِي ولكن
لها أمدٌ وللأمد انقضاءُ

الوسيلة الثانية: غَرسْ حب العلم في نفس الطفل وتعليمه في الصغر.

تعليم الطفل في الصغرِ أهم وسيلة لتعويده طلب العلم وغرس حب العلم في نفسه. قال الأستاذ محمد الصباغ: «سمعت من الأستاذ مالك بن نبي رحمه الله أن رجلاً جاء يسترشد لتربية ابن له أو بنت وُلِدت حديثاً فسأله كم عمرها؟، قال: شهر، قال: فاتك القطار، وقال: كنت أظن في بادىء الأمر أني مبالغ ثم عندما نظرت وجدت أن ما قلته الحق وذلك أن الولد يبكي فتعطيه أمه الثدي فينطبع في نفسه أن الصراخ هو الوسيلة إلى الوصول إلى ما يريد ويكبر على هذا، فإذا ضربه اليهود بكى في مجلس الأمن يظن أن البكاء والصراخ يوصله إلى حقه»(١).

وقال ابن عباس: «من قرأ القرآن قبل أن يحتلم فهو ممن أوتي الحكم صبياً»(٢). وقال عبد الله بن مسعود: «تعلّموا فإن أحدكم لا يدري متى يُخْتَل(*) إليه»(٣).

---

(١) نظرات في الأسرة المسلمة (١٤٦ ـ ١٤٧).
(٢) منهج التربية النبوية ص٢٢٠.
(*) متى يحتاج الناس إلى ما عنده من الخَلَّة بالفتح: الحاجة إليه كما في النهاية (٢/ ٧٣).
(٣) صحيح أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٥٤١) والدارمي (١/ ٥٧) =

وقالﷺ: «**إذا تمنى أحدكم فليُكثر فإنما يسأل ربه**»(١). ولقد دعا النبيﷺ لسيدنا عبد الله بن عباس لما رأى ما يدل على ذكائه فدعا له: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»(٢).

وهكذا بلغ حَبْر الأمة ابن عباس مكانته التي نالها بدعوة من رسول اللهﷺ. فعليكِ يا أختاه بالدعاء لأولادك وبناتك أن يرزقهم الله العلم النافع والعمل الصالح ولا تستهيني بالدعاء فمن لنا غير الله: [الطويل]

إذا لم يكن من الله عون للفتى
فأوّل ما يَجْنِي عليه اجتهاده

وقد حكت لي إحدى الثقات أن إحدى النساء المسلمات سافرت من مصر إلى إحدى البلاد العربية وكان لها جارة تُسمى «عائشة» ولاحظت فيها أنها موفقة في كل شيء وبخاصة تربية أولادها الذين بلغوا ثلاثة عشر وسألتها عن سر هذا التوفيق فقال: «إني أدعو الله لهم بصالح أعمالي» وصدق من قال: [الوافر]

أتهزأ بالدعاء وتزدريه
وما تدري بما صنعَ الدعاءُ

---

(١) أخرجه عبد بن حميد (١٤٩٦ ـ منتخب) والطبراني في الأوسط (٢٠٤٠) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٥٠) ورجاله رجال الصحيح، وابن حبان في موارد الظمآن (٢٤٠٣) وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٦٦) على شرط الشيخين.

(٢) رواه البخاري (١٤٣) ومسلم (٢٤٧٧/ ١٣٨).

وقد رأينا كيف كانت أم الإمام أنس بن مالك تدفعه إلى طلب العلم صغيراً حتى جلس للفتيا وعُمره إحدى وعشرون سنة[١].

ويجب أن تغرس في نفس الطفل حب العلم من الصغر وأنه سبب للفضل والرفعة في الدنيا والآخرة مما رواه أبو إسحاق: كان محمد بن عبد الرحمن الأوقص عُنُقُه داخلاً في بدنه وكان منكباه خارجين كأنهما زُجَّان[*] فقالت له أمه: يا بني لا تكون في قوم إلا كنت المضحوك منه المسخور به فعليك بطلب العلم فإنّه يرفعك قال: فطلب العلم قال: «فَوُلِّي قضاء مكة عشرين سنة، قال: فكان الخصم إذا جلس بين يديه يُرْعَدُ حتى يقوم»[٢].

وهكذا حرصت تلك المرأة المسلمة على صناعة ذلك العالم وغرست في نفسه حب العلم ليكون له الفضل في الدنيا والآخرة.

ولقد حرص الصحابة والتابعون وأصحاب الحديث على تعليم الصغار فهذا الحسن يقول: «قدِّموا إلينا أحداثكم فإنهم أفرغ قلوباً وأحفظ لما سمعوا». وهذا سعيد بن رحمة الأصبحي يقول: «كنت أسبق إلى مجلس عبد الله بن المبارك

---

(١) انظر في مالك بن أنس في هذه الرسالة.
(*) الحديد الذي في أسفل الرمح.
(٢) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (١/ ١٤١) وإسناده صحيح.

وإلى هذا أشار ابن عباس ﷺ في الحديث الذي رواه الطبراني عنه في الأوسط قال: «ما بَعَثَ اللَّهُ نبيًّا إلاّ وهو شَابٌ، ولا أُوتي عالمٌ عِلْماً إلاّ وهو شاب»[(١)].

وعن الحسن قال: «طلب الحديث في الصِّغر كالنقش في الحجر»[(٢)] وأنشد أبو عبد الله نفطويه لنفسه: [الطويل]

أراني أنسى ما تعلمتُ في الكبر
ولست بناسٍ ما تعلمت في الصغر
وما العلم إلا بالتعلم في الصبي
وما الحلم إلا بالتحلم في الكبر
ولو فُلِقَ القلبُ المُعَلَّم في الصِّبَى
لألفى فيه العلم كالنقش في الحجر
وما العلم بعد الشيب إلا تعسّفٌ
إذا كَلَّ قلبُ المرء والسمع والبصر

= وأبو خيثمة في «العلم» (٨). واللفظ عند ابن أبي شيبة (..يحيل إليه) وعند الدارمي (متى يختلف إليه) وعند ابن أبي شيبة (يختل إليه) وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٢٥٢) والدارمي (١/ ٥٤) من طريقين عن أيوب. وانظر جامع بيان العلم وفضله (٢٧٨).

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط: (٦٤٢١) قال الهيثمي في المجمع (١/ ١٢٥) وفيه قابوس بن أبي ظبيان، وثقه يحيى بن معين في رواية وضعفه في أخرى وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به وضعفه أحمد وأورد الألباني في الضعيفة (٥٠٣٩).

(٢) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ٩١) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢٥١) والبيهقي في المدخل (٦٤٠) وإسناده جيد.

قال الحافظ السيوطي: «تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام فينشأون على الفطرة ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكن الأهواء منها وسوادها بأكدار المعصية والضلال»(١).

ومما رواه الطبراني عن علي كرم الله وجهه عن النبي ﷺ قال: «**أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم وحب آل بيته وتلاوة القرآن فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله**»(٢).

وهكذا فإن للقرآن تأثير سحري يدفع الطفل في كل أبواب الخير، والطفل أقوى الناس صفاء وفطرته ما زالت نقية لذلك يجب أن نحرص على حفظ الطفل القرآن في الصغر. ولنا في علمائنا الصالحين خير سلف فقد حفظ الشافعي القرآن وهو ابن سبع سنين، وهذا سهل بن عبد الله التستري يحفظ القرآن وهو ابن ست سنين أو سبع سنين(٣).

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «من تعلم القرآن الكريم عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه نيل قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته»(٤).

---

(١) (تلاوة القرآن المجيد) للشيخ عبد الله سراج الدين.
(٢) تربية الأولاد في الإسلام لعبد الله ناصح علوان (١/ ٢٦٨) وقال المناوي في فيض القدير (١/ ٢٢٦) ضعيف.
(٣) الإحياء للإمام الغزالي (٣/ ٧٢).
(٤) تربية الأولاد في الإسلام (١/ ٢٦٩).

بليل معي أقراني لا يسبقني أحد ويجيء هو مع الأشياخ فقيل له: قد غلبنا عليك هؤلاء الصبيان فقال: هؤلاء أرجى عندي منكم أنتم كم تعيشون وهؤلاء عسى الله أن يبلغ بهم»[١].

وقال شوقي: [الوافر]

فــرب صـــغــيــر قــومٍ عــلــمــوه
سـمـا وحـمـى الـمـسـومـة الـعِـرابـا
وكــان لــقــومــه نــفــعــاً وفــخــراً
ولـــو تـــركـــوه كـــان أذى وعـــابـــا
فَـعـلِّـمْ مـا اسـتـطـعـت لـعـل جـيـلاً
سـيـأتـي يُـحـدث الـعـجـب الـعُـجـابـا

وهكذا علينا غرس حب العلم وتعليم الأطفال في الصغر، حتى إذا ترسخ ذلك في عقولهم وأنفسهم طلبه الطفل طلباً ذاتياً وتحمل فيه الصعاب والمشاق وسهر الليالي في سبيله دون إلحاح الوالدين.

الوسيلة الثالثة: حفظ الطفل قسم من القرآن والسنة:

وعليك يا أختي المسلمة بتحفيظ طفلك القرآن الذي سيكون النور الذي سيضيء له طريق العلم والفلاح، فحفظ القرآن ودراسته في الصغر أصل من أصول الدين.

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق محمد رأفت سعيد (١/ ٢٤٥).

ذُرا العُلا والتربع على قمة المجد في العلم.

ولذلك ينبغي محاولة اكتشاف المجال الذي يتفوق فيه الطفل ويحبه وتوجيهه إليه، فبعد حفظ القرآن الكريم والسنة المطهرة واليسير من العلوم النافعة، نعمل على تخصيص الطفل في المجال الذي يتفوق فيه. ولقد سار السلف على هذه القاعدة ومن ذلك أن الإمام البخاري في أول أمره يحاول تعلم الفقه والتبحر فيه فقال له محمد بن الحسن: «اذهب واشتغل بعلم الحديث» عندما رآه مناسباً لقدراته وأليق به وأقرب إليه وقد أطاعه البخاري ومن ثَمْ صار على رأس المحدّثين بل وإمامهم»[(١)].

وروي أن يونس بن حبيب كان يتردد على الخليل بن أحمد الفراهيدي ليتعلم منه العروض والشعر فصعب ذلك عليه فقال له الخليل يوماً: من أي بحر قول الشاعر:

إذا لم تستطع شيئاً فَدَعْهُ
وجاوزه إلى ما تستطيع

ولما عجز يونس بن حبيب عن الإجابة طالبه الخليل بن أحمد بتنفيذ الشطر الثاني من بيت الشعر محل السؤال[(٢)].

وهكذا فعلى الأم المسلمة مراعاة ميول طفلها وتوجيهه إلى أنسب الأمور.

---

(١) عن مجلة الوعي العربي سنة أولى عدد (١) عام ١٣٥٧هـ ص٣٣.
(٢) منهج التربية النبوية للطفل ص٢٣٢ والبيت من بحر الوافر.

وكما نحرص على تعليمه القرآن يجب أن تغرس في الطفل حب السنة ونحثه على تطبيقها وحفظ اليسير من الحديث. فالقرآن والسنة من أهم الأسس التي تُكَوّن عقلية الطفل وهما مصدر إشعاع العلوم، ينيران العقل ويقوياه وإليكِ نموذجاً في حفظ الطفل للحديث واعتنائهم به قال البخاري: «ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكُتّاب قيل له: كم أتى عليك إذ ذاك فقال: عشر سنين أو أقل ثم خرجت من الكتاب فجعلت أختلف إلى الدَّاخلي وغيره فقال يوماً: فيما كان يقرأ الناس ـ سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم ـ فقلت إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم فانتهرني فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك، فدخل فنظر فيه ثم رجع فقال: كيف هو يا غلام؟ فقلت: هو الزبير وهو ابن عدي عن إبراهيم فأخذ القلم وأصلح كتابه»(١).

وهكذا بلغ الأطفال في هذه العهود الزاهية للإسلام أعلى درجة، فتقدمي يا أختي المسلمة لكي تُلحقين ابنك بركب المجد ركب العلماء الحافظين لكتاب الله وسنته والعاملين بها.

الوسيلة الرابعة: العمل على الاكتشاف المبكر لمواهب الطفل وتوجيهها.

إن علامات النجابة ومخايل العبقرة تظهر في الصغر حتى لا يكاد يشك ذو فراسة وإيمان صادق في صيرورة صاحبها إلى

(١) فيض الباري في شرح صحيح البخاري للكشميري (١/ ٣٣).

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى
كيما يصح به وأنت سقيمُ
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا
أبداً وأنت من الرشاد عديمُ
فابدأ بنفسك فانهها عن غيِّها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيمُ

وهذه الأبيات يحب أن يعمل بها المعلمون في مدارسنا وكذلك الأب والأم فلا تكون إلا قدوة حسنة يقتدي بها ولدها في العلم والأدب. وذات مرة رأى المفضل بن زيد... ابن أعرابية مسلمة فأعجب بمنظره فسألها عنه فقالت: «إذا أتم خمس سنوات أسلمتُه إلى المؤدّب فحفّظه القرآن فتلاه وعلّمه الشعر فرواه ورغب في مفاخر قومه وطلب مآثر آبائه وأجداده فلما بلغ الحلم حملتُه على أعناق الخيل فتمرّس وتفرّس ولبس السلاح»(١).

الوسيلة السادسة: اتقان الطفل اللغة العربية.

إن اللغة العربية لغة القرآن هي مفتاح كل العلوم، وكلما قوي الطفل في اللغة كانت قوته سبباً في الخوض في أي علم من العلوم التي يرغب في تعلمه وأحب أن يكسبه. واللغة العربية حفظها السلف الصالح وكانوا يُربون أولادهم في البادية حتى لا تضطرب لغتهم، وقد اهتم النبيﷺ بتعليم النشىء هذه

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام عبد الله ناصح علوان (١/ ٢٦٩).

الوسيلة الخامسة: اختيار المعلم الصالح والمَدْرَسَةِ الصالحة، وعلى الأم المسلمة أن تختار المعلم الصالح القادر على صياغة طفلها ومساعدتها في صناعته كعالم، بحيث يكون في هذا المعلم كل شروط القدوة. وهذا غير مُيسر في هذه الأيام ولذلك علينا بأن تختار المَدْرَسَة الصالحة التي تغرس في الطفل حب الإسلام وحب القرآن والسنة.

وقد اهتم السلف باختيار المُعَلِم الصالح، ومن ذلك أن عتبة بن أبي سفيان قال لمؤدب ولده: «يا عبد الصمد: ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح نفسك فإن أعينهم معقودة بعينك فالحَسَن عندهم ما استحسنت والقبيح عندهم ما استقبحت وعلِّمهم كتاب الله ولا تستكرههم عليه فَيَمُّلوه ولا تتركهم منه فيهجروه وروهم من الشعر أعفّه، ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه فإن ازدحام الكلام في السمع مضلةٌ للفهم وتهددهم بي وأدبهم دوني، وكُنْ لهم كالطبيب الرفيق لا يضع الدواء إلا بعد معرفة الداء وروّهم سير الملوك وجنبهم محادثة النساء ولا تتكلن على عذرٍ مني فإني اتكلت على كفاية منك».

ما أبلغ هذه النصيحة أن يتعلمها كل معلم علَّق الله في رقبته تعليم أولادنا في مدارسنا المختلفة وصدق من قال: [الكامل]

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلَّا لنفسك كان ذا التعليمُ

تعلمها وإلا كان جاهلاً بالدين منقوصاً في الملل»[١].

وهكذا فعلينا الاهتمام بتعليم الطفل القرآن ولغته ليشب محباً لهما ويكون ذلك أهم مفتاح لطلب العلم وأهم الدوافع لتحمل المشاق في سبيله.

الوسيلة السابعة: ربط الطفل بالمسجد ودروس العلم فيه.

المسجد هو الصرح الذي يبني الأجيال تلو الأجيال من العلماء، ولقد كان وما زال هو المصدِّر لأجيال باعوا أنفسهم لله وساروا على منهجه يدافعون عنه وينشرون علومه. لهذا عني أطفال الصحابة بالصلاة في المسجد، وطالب النبيﷺ أئمة المساجد أن يخففوا من الصلاة رأفة بالأطفال الأمر الذي يدل على جواز صلاة الأطفال وأخذهم للمسجد وأهمية ربطهم به لكي يشبوا مرتبطين ببيوت الله ولكي يتلقوا في جنباته العلوم النافعة. وما زال الجامع الأزهر حافل بحلقات العلم التي طالما تخرج منها علماء نابهين قادوا الأمة إلى التقدم وإلى المجد. ويقول الشيخ أنور الكشميري: «قلنا إن المسجد الذي خرّج أطفال الصحابة والسلف الصالح قادر أن يخرج أمثالهم إذا وجه الآباء والأمهات أطفالهم نحو المسجد ترغيباً لا تنفيراً وتحبيباً لا تقبيحاً وتشجيعاً لا تخذيلاً»[٢].

ولذلك يجب أن ندفع أطفالنا إلى المساجد، وكذلك

---

(١) نصيحة الملوك ص١٦٨.

(٢) فيض الباري على شرح صحيح البخاري (١/ ٢٣٠).

اللغة، ومما جاء في ذلك عن ابن عباسﷺ قال: كان ناس من الأسارى يوم بدر ليس لهم فداء فجعل رسول اللهﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة»[١].

ولقد كان خطأ الطفل في لغته يحز في نفوس الصحابة كما أنه كان سبباً في تقعيد قواعد للغة حتى يتعلمها الأطفال خشية استفحال عُجمة اللسان، ومما جاء في ذلك»:

رُوي عن ابنة أبي الأسود الدؤلي قالت له ذات يوم: ما أحسنُ السماء؟ فقال: نجومُها، فقالت: ما أردت ذلك وإنما أردت التعجب بعظمة السماء وليس السؤال عما فيها، فكان عليها أن تقول ما أحسنَ، فتوجه أبو الأسود للإمام علي كرم الله وجهه وأخبره بذلك فرفع الإمام له أوراقاً وطلب منه تقييد قواعد النحو[٢].

وقال أبو الحسن الماوردي منبهاً إلى أهمية تعليم الطفل اللغة العربية وإجادتها فيقول: «فإذا بلغ التأديب والتعليم فالوجه أن يبدأ بتعليم القرآن مع اللغة العربية، لأنها اللغة التي أنزل الله بها كتابه وخاطب بها في شرائع دينه وفرائض ملته، وبها بلّغ رسول اللهﷺ سنته، وبها أُلفت الكتب الدينية والحكمية والجدية والهزلية، وبها تُكتب رسائلهم والصكوك التي جعلها الله وثائق بينهم فلا بد للناشىء في هذه الملّة من

(١) الحاكم في المستدرك (٢/ ١٤٠).
(٢) شرح زيني دحلان لمتن الآجرومية.

تهدد عقيدة الطفل وبناءه العلمي كعالم رباني.

ولذلك على الوالدين توفير الأشرطة اليسيرة أو الديسكات الكمبيوترية التي تساعد في تعويد الطفل على حفظ القرآن والعلوم المختلفة.

وقد نبه الإمام حسن البنا في رسالته ـ أنجع الوسائل في تربية النشئ تربية إسلامية خالصة ـ فقال: «وأذكر كذلك ضرورة احتواء المنزل على مكتبة مهما كانت يسيرة إلا أن كتبها تختار من كتب التاريخ الإسلامي وتراجم السلف وكتب الأخلاق والرحلات الإسلامية والفتوح ونحوها، ولئن كانت صيدلية المنزل ضرورية لدواء الأجسام فالمكتبة المنزلية الإسلامية ضرورية لإصلاح العقول، وأن يحول الأبوان دون تسرب الكتب الهازلة والصحف الماجنة إلى ابنهما لا بالمنع والتهديد فإن ذلك مما يزيد بها شغفه بها وإقباله عليها ولكن بصرفه إلى كتب نافعة مغرية وإثارة الميل فيه إلى هذه الناحية الصالحة»(١).

وصدق من قال: [الطويل]

وخير جليس المرء كتب تفيده
علوماً وأدباً كعقل مؤند

وفي عهدنا هذا يجب أن يكون الكمبيوتر ببرامجه النافعة

(١) أنجع الوسائل في تربية النشىء تربية إسلامية خالصة لحسن البنا ﷺ.

يجب على الكبار أن ينصحوا الأطفال في المسجد نصحاً لطيفاً برفق ولين حتى لا ينفر الأطفال من المساجد وحضور الدروس العلمية فيه وصدق من قال: [مجزوء الكامل]

لا يُصنع الأبطال إلا
في مساجدنا الفساح
في روضة القرآن في
ظل الأحاديث الصحاح
شعب بغير عقيدة
ورق يذريه الرياح
من خان «حي على الصلاة»
يخون «حي على الكفاح»

الوسيلة الثامنة: المكتبة المنزلية الصوتية والمقروءة في المنزل.

إن المكتبة المنزلية من أهم الوسائل التي تدفع الطفل للعلم وتساعده في طلبه. والمكتبة الصوتية اليوم من الأشرطة النافعة والديسكات التي تُعرض على جهاز الكمبيوتر من أهم الوسائل التي يمكن من خلالها توجيه الأطفال لحب العلم عبر البرامج المعدة لهذا الغرض، والتي تعرض للطفل مبادىء اللغة والعلوم من قرآن وحديث وتفسير وسيرة وغزوات بصورة مبسطة، فعلينا الحرص على ربط الطفل بتلك المكتبة الصوتية، وتعليمه لغة الكمبيوتر لأنها لغة العصر ولأن الكمبيوتر هو البديل الإسلامي لجهاز التلفاز الذي يحمل في طياته أخطار

خمس أشبار ووجهي كالدينار وأنا كشعلة نار ثيابي صغار وأكمامي قِصار وذيلي بمقدار ونعلي كآذان الفار اختلفت إلى علماء الأمطار مثل الزهري وعمرو بن دينار أجلس بينهم كالمسمار، محبرتي كالجوزة ومقلتي كالموزة وقلمي كاللوزة فإذا دخلت المسجد قالوا: «أوسعوا للشيخ الصغير قال ـ ثم تبسم ابن عيينه وضحك ـ قال أحمد بن النضر: فتبسم أبي وضحك»[١].

ومن الطفولات العلمية الفذة طفولة الإمام ابن الجوزي وطلبه للعلم:

قال الإمام ابن الجوزي عن الشدائد التي نالته في بدء طلبه للعلم وعن محامد صبره على تلك الشدائد: «ولقد كنت في حلاوة طلبي العلم أَلْقَى من الشدائد ما هو أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو، كنت في زمن الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث وأقعد على نهر عيسى ـ في بغداد ـ فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء فكلما أكلت لقمة شربت عليها وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم»[٢].

وهكذا تُروى قصص العلماء بصورة مُيسرة للطفل، وقبل هؤلاء جميعاً معلم العلماء سيدنا محمدﷺ الذي يجب أن تسير مع سيرته بصورة مبسطة تناسب عمر الطفل وكل ذلك

---

(١) الكفاية في علم الرواية ص١١٢.

(٢) صفحات من صبر العلماء ص٧٦.

للطفل المسلم بديل عن التلفاز وبرامجه الضارة التي تُهدر عمر الطفل ووقته مع الاهتمام بالكتب اليسيرة، وإن كان التأثير الصوتي والمرئي أفضل من تأثيره على الطفل.

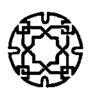
الوسيلة التاسعة: استخدام القصة ورواية طفولة علماء السلف في طلب العلم أمام الأطفال.

إن القصة تلعب دوراً كبيراً في شد انتباه الطفل ويقظته الفكرية والعقلية وتحتل المركز الأول في الأساليب التربوية المؤثّرة في عقل الطفل لما لها من متعة ولذة. قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: «الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إليّ من كثير من الفقه لأنها آداب القوم» وشاهده من كتاب الله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠] وقوله سبحانه: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾[1] [يوسف: ١١١]. وهكذا فالقصص من أهم الوسائل لشحذ همة الطفل وتطلعه نحو مستقبل علمي متقدم، ومن النماذج الطفولية لعلماء المسلمين طفولة العالم سفيان بن عيينه:

ذكر الخطيب البغدادي عن أحمد بن النصر الهلالي قال: سمعت أبي يقول: كنت في مجلس سفيان بن عيينه فنظر إلى صبي دخل المسجد، فكان أهل المجلس تهاونوا به لصغر سنه فقال سفيان: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: ٩٤] ثم قال: يا نضر لو رأيتني ولي عشر سنين طولي

(١) مقدمة «صفحات من صبر العلماء» للشيخ أبو غدة رحمه الله.

وإذا مــا أضــعــت نــفــســك ألــفــيــ
ـت كــبــيــراً فــي زمــرة الــغــوغــاء
لــيــس عــطــف الــقــضــيــب إن كــان
رطــبــاً وإذا كــان يــابــســاً بــســواء



حتى يرتبط الطفل بخير قدوة عرفتها البشرية.

وهكذا عرضت لك ـ أختي المسلمة ـ بعض الوسائل التي تساعد على صناعة جيل من العلماء يُعيد لنا مجد أمتنا ويُمثل لنا خلفٌ صالح للعلماء الذين نذكر الله برؤيتهم، أو مطالعة سيرتهم، هؤلاء العلماء الذين إذا غابت نجوم السماء فإن علمهم وسيرتهم لا تغيب وصدق من قال: [الوافر]

أمرتقب النجوم من السماء
نجوم الأرض أبهى في الضياء
فتلك تبين وقتاً ثم تخفى
وهذي لا تكدّر بالخفاء

فهيا أختي المسلمة إلى النجوم والكواكب هيا إلى تربية نجم ساطع يشع بنوره، ليكون نوره وعلمه في ميزان حسناتك ويكون ذلك العلم خير ميراث يرثه منكِ:

خير ما ورَّث الرجال بينهم
أدبٌ صالح وحسن ثناء
هو خير من الدنانير والأوراق
في يوم شدة أو رخاء
تلك تفنى والدين والأدب
الصالح لا يفنيان حتى اللقاء
إن تأدبت يا بني صغيراً
كنت يوماً تعد في الكبراء

هؤلاء العلماء الذين صنعتهم المرأة المسلمة التي كانت في الأمة الإسلامية عبر عصورها المختلفة صاحبة المقام الأوفى والمنزلة السامية وصاحبة اليد الحانية والقلب الحنون والعقل الناصح الذي يوجه الصغار لحمل الراية وتكملة مسيرة من جاء من قبلهم من العلماء الأجلّاء والأبطال العظام الذين تربوا في حجور خير النساء «نساء صنعن علماء». فقد عشنا مع خير مُربية منحها الله من وسائل التربية حظاً لم يتوفر لغير المرأة المسلمة التي كانت أعرف خلق الله بتكوين الرجال والتأثير فيهم وتثبيت دعائم الخُلق الكريم بين حوائجهم بل وفي دمائهم، فقد سرى من هؤلاء النساء في دماء الأبناء والأولاد حب العلم والحرص عليه وحب كتاب الله الذي هو خير علم وخير كتاب، وسرى في دمائهم حب علوم الإسلام وشرائعه فعملوا على نشرها ولسان حالهم يظهر ذلك الحب ويقول: [الكامل]

وشريعةُ الإسلامِ أفضلُ شِرْعَةٍ
دينُ النبيِّ الصادقُ العدنانِ
هو دينُ ربِّ العالمينَ وشَرْعُهُ
دينُ النبيّ الصادقُ العَدْنانِ
هو دين آدمَ والملائك قبلهُ
هو دينُ نوح صاحبُ الطوفانِ
وكمالُ دينِ الله شرعُ محمدٍ
صلَّى عليه مُنزل القرآنِ

خاتمة نسأل اللّه حُسنها

وأخيراً نأتي لنهاية الرحلة التي عشنا فيها مع قمم شامخة ونجوم زاهرة ارتفعت أنوارها وانتشرت عبر الآفاق، عشنا مع المرأة المسلمة التي تصنع من وليدها عالماً ربانياً يرتفع بعلمه فوق الآفاق ويشهد له الجميع بالفضل، فلقد كانت المرأة المسلمة قوة من قوى الوحي والإلهام في نفس أولادها وفي نفس هؤلاء العلماء الربانيين، فهي كالروح السارية تُحرك الأحياء ولا تُرى، وكالعقل المنير يضيء الشعاب ولا يُحس، وكالكهرباء الدافعة تملأ الوجود ولا تُدرك، وهي التي تغرس في نفوس الرجال معالي الأمور وعلو الهمة في طلبها فقد ربَّت المرأة المسلمة وصنعت عبر الأجيال علماء كان لسان حالهم يقول[1]:

مُناي من الدنيا علوم أبثها
وأنشرها من كل بادٍ وحاضر
دعاءٌ إلى القرآن والسنن التي
تناسى رجالٌ ذكرها في المحاضر

(١) الأبيات من بحر الطويل.

هُـوَ حـكـمـةُ هُـوَ عـلـمـةُ هُـوَ نـورهُ
وصـراطـهُ الـهـادي إلـى الـرضـوانِ
جَـمَـعَ الـعـلـومَ دَقِـيـقُـهَـا وَجَـلِـيـلُـهَـا
فـيـه يَـصُـولُ الـعـالـمُ الـرَّبَّـانـي

فقد حفظت المرأة المسلمة العالمة هذا الكتاب وعلمته غيرها وحدَّثت بأحاديث خير البشر وتفقهت في دينها عملاً بقوله ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقه في الدين**» وقد أرادت هي ذلك الخير فتفقهت في دينها. وهكذا كانت المرأة المسلمة عالمة ومعلمة صانعة للعلماء بتربيتها الصالحة لأولادها وبناتها.

صانعة العلماء بنشرها العلم وحملها همّ السنة وهمّ توصيلها إلى أبعد الآفاق.

صانعة العلماء بتعليمها العلم الذي حملته فكانت أستاذة الأساتذة، تتلمذ على يديها خير علماء عصورها، فكانت المرأة المسلمة بذلك من خير النساء «نساء صنعن علماء». نساء صنعن علماء ينصرون السنة في كل وقت ويعملون على إحياءها ونصرتها في كل حين.

وأخيراً سلامٌ على هؤلاء النساء وسلامٌ على هؤلاء العلماء وتلك النفوس التي صاغها الله من روحه ورَوَّاها من رحمته واصطنعها لإذاعة دينه وهيأها لتزكية خَلْقه وابتعثها غُرَّة في جبين الزمان وأَمَنَة من كيد الحدثان:

ومن أجل هذه الشريعة وهذا الدين حمل هؤلاء العلماء راية العلم ليشرفوا بحمل ميراث الأنبياء ولتشرف بهم كل امرأة مسلمة أنها صنعت رجال وعلماء حملوا هم أمة الإسلام ليخرجوا بها من الظلمات إلى النور.

علماء تربوا في حجور مسلمات انبلج عنهن فجر الإسلام ورسمت بهن عظمته عبر العصور وصَدَعت بقوتهن قوته وعنهن ذاعت مكارمه ورسخت قوائمه فإن كان مما يذل الرجل في عصرنا هذا أن يُقال له «تربية أمه» فقد كان ذلك في عصور الإسلام الزاهية وأيامه الخالية مهبط الشرف الحر والعز المؤثل والمجد المكين.

وفي ظل تلك العصور الزاهية للإسلام عشنا مع المرأة المسلمة العالمة التي نهلت من بحور العلم عبر العصور ونشرت عبر صفحات التاريخ نور العلم يُعلى شأنها، فمن أول السيدة عائشة أم المؤمنين وامتداداً بالمسلمات عبر العصور المختلفة رأينا المرأة العالمة التي يتتلمذ الرجال على يديها فتصنع منهم علماء ربانيين فالعلم هو هم هؤلاء النساء اللاتي حدَّثن عن رسول الله ﷺ وحفظن كتاب الله ﷻ ذلك الكتاب الذي قيل في فضله: [الكامل]

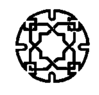
تَنزيلُ ربِّ العالمينَ ووحيهُ
بشهادةِ الأحبارِ والرهبانِ
وكلامُ ربّي لا يجيءُ بمثلهِ
أحدٌ ولو جُمعتْ لهُ الثقلانِ

سـلامٌ عَـلَـى تِـلْـكَ الـخـلائـقِ إِنَّـهـا
مُـسَـلّـمـةٌ مـن كُـلِّ عـارٍ ومـأثـمِ

وسلامٌ عليك أختي المسلمة في كل مكان

أختكم

أم إسراء وسارة وأسماء وسلمى



١٨ ـ المعجم الأوسط للطبراني.
١٩ ـ مجمع الزوائد للهيثمي.
٢٠ ـ موطأ الإمام مالك.
٢١ ـ مسند الشافعي.
٢٢ ـ مصنف ابن أبي شيبة.
٢٣ ـ التمهيد لابن عبد البر.
٢٤ ـ النهاية في شرح غريب الحديث لابن الأثير.
٢٥ ـ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع تحقيق محمد رأفت سعيد.
٢٦ ـ الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي.
٢٧ ـ ميزان الاعتدال للذهبي.
٢٨ ـ المعجم المفهرست للحديث.
٢٩ ـ صحيح الجامع الصغير للألباني.
٣٠ ـ طبقات ابن سعد.
٣١ ـ تذكرة الحفاظ للذهبي.
٣٢ ـ سير أعلام النبلاء للذهبي.
٣٣ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني.
٣٤ ـ الاستيعاب لابن عبد البر القرطبي.
٣٥ ـ جمهرة أنساب العرب لابن حزم.
٣٦ ـ الإصابة لابن حجر العسقلاني.
٣٧ ـ أسد الغابة لابن الأثير.
٣٨ ـ طبقات خليفة.
٣٩ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.

المصادر والمراجع

١ ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.
٢ ـ تيسير العزيز الرحمن في تفسير كلام المنان.
٣ ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
٤ ـ تلاوة القرآن المجيد للشيخ عبد الله سراج الدين.
٥ ـ صحيح البخاري مع الفتح لابن حجر.
٦ ـ فيض الباري في شرح صحيح البخاري للكشميري.
٧ ـ صحيح مسلم.
٨ ـ سنن أبي داود.
٩ ـ سنن النسائي الكبرى.
١٠ ـ سنن النسائي الصغرى.
١١ ـ سنن الترمذي.
١٢ ـ سنن ابن ماجه.
١٣ ـ المستدرك للحاكم.
١٤ ـ مسند أحمد.
١٥ ـ صحيح ابن حبان.
١٦ ـ سنن الدارقطني.
١٧ ـ شرح السنة للبغوي.

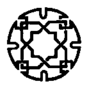
٦٣ ـ البدر الطالع للشوكاني.
٦٤ ـ معرفة الثقات للعجلي.
٦٥ ـ الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم.
٦٦ ـ الضوء اللامع للسخاوي.
٦٧ ـ أنباء العمر لابن حجر العسقلاني.
٦٨ ـ الدارس عبد القادر الدمشقي.
٦٩ ـ الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني.
٧٠ ـ كشف الظنون، مصطفى بن عبد الله الرومي.
٧١ ـ روضة العقلاء لابن حبان.
٧٢ ـ البداية والنهاية لابن كثير.
٧٣ ـ تاريخ الإسلام للذهبي.
٧٤ ـ الكامل لابن الأثير.
٧٥ ـ تاريخ دمشق، أسطوانة كمبيوتر.
٧٦ ـ تاريخ أبي زرعة الرازي.
٧٧ ـ تاريخ خليفة.
٧٨ ـ تاريخ واسط لبحشل.
٧٩ ـ تاريخ جرجان لأبي القاسم الجرجاني.
٨٠ ـ التاريخ الكبير للبخاري.
٨١ ـ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، الفاسي المكي.
٨٢ ـ التكملة لكتاب الصلة لأبي عبيد الله بن أبي بكر القُضاعي.
٨٣ ـ سيرة ابن هشام.
٨٤ ـ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي.

٤٠ ـ الجرح والتعديل لابن أبي حاتم.
٤١ ـ تهذيب الأسماء واللغات للنووي.
٤٢ ـ طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلميّ.
٤٣ ـ طبقات المحدثين لابن حبان الأنصاري.
٤٤ ـ الثقات لابن حبان.
٤٥ ـ طبقات الحنابلة لأبي يعلى.
٤٦ ـ أخبار مكة للفاكهي.
٤٧ ـ طبقات صلحاء اليمن لعبد الوهاب السكسكي.
٤٨ ـ طبقات العبادي.
٤٩ ـ حلية الأولياء لأبي نعيم.
٥٠ ـ شذرات الذهب لابن العماد.
٥١ ـ صفة الصفوة لابن الجوزي.
٥٢ ـ مشاهير علماء الأمصار لابن حبان.
٥٣ ـ مولد العلماء ووفياتهم لابن زَبَر الرَّبعي.
٥٤ ـ طبقات الشافعية للسبكي.
٥٥ ـ المنتظم لابن الجوزي.
٥٦ ـ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي.
٥٧ ـ تهذيب الكمال للمزي.
٥٨ ـ العبر عن أخبار من غبر للذهبي.
٥٩ ـ التحبير للسمعاني.
٦٠ ـ التقييد لابن نقطة.
٦١ ـ الإكمال لابن ماكولا.
٦٢ ـ ذيل التقييد لمحمد بن أحمد الفاس المكي أبو الطيب.

١٠٧ـ جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر.
١٠٨ـ الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة للزركشي.
١٠٩ـ الورع لأحمد بن حنبل.
١١٠ـ الزهد لأحمد بن حنبل.
١١١ـ الفقيه والمتفقه للخطيب.
١١٢ـ لسان العرب لابن منظور.
١١٣ـ معجم البلدان لياقوت الحموي.
١١٤ـ أضواء البيان لعطية سالم.
١١٥ـ العلم والعلماء لأبي بكر الجزائري.
١١٦ـ أعلام النساء لرضا عمر كحالة.
١١٧ـ ترطيب الأفواه بذكر من يظلهم الله لسيد حسين عفاني.
١١٨ـ تربية الأولاد في الإسلام لعبد الله ناصح علوان.
١١٩ـ المرأة العربية لعبد الله عفيفي.
١٢٠ـ من وصايا الرسول لطه العفيفي.
١٢١ـ صفحات من صبر العلماء للشيخ أبي غدة.
١٢٢ـ عودة الحجاب لمحمد إسماعيل المقدم.
١٢٣ـ البداية لعبد العزيز سيد الأهل.
١٢٤ـ منهج التربية النبوية لمحمد نور عبد الحفيظ سَويد.
١٢٥ـ علو الهمة لمحمد بن إسماعيل المقدم.
١٢٦ـ من أخلاق العلماء محمد بن سليمان.
١٢٧ـ أحمد تيمور باشا لمحمد بن إبراهيم الشيباني.
١٢٨ـ المرأة ومكانتها للحصين.

٨٥ ـ عجائب الآثار عبد الرحمن الجبرتي.
٨٦ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه.
٨٧ ـ المناقب للبيهقي.
٨٨ ـ المناقب للرازي.
٨٩ ـ مناقب الشافعي لابن الجزري.
٩٠ ـ العلل لابن حنبل.
٩١ ـ حكايات أبي بسطام للبغوي، مخطوط.
٩٢ ـ سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي.
٩٣ ـ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لأبي العباس الناصري.
٩٤ ـ الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي.
٩٥ ـ توالي التأسيس لابن حجر.
٩٦ ـ مقدمة الديباج المذهب لابن فرحون.
٩٧ ـ ترتيب المدارك للقاضي عياض.
٩٨ ـ الرسالة للشافعي.
٩٩ ـ فيض القدير للمناوي.
١٠٠ ـ كشف الخفا للعجلوني.
١٠١ ـ الدر المنثور للسيوطي.
١٠٢ ـ شعب الإيمان للبيهقي.
١٠٣ ـ معاني الآثار للطحاوي.
١٠٤ ـ إحياء علوم الدين للغزالي.
١٠٥ ـ الأدب المفرد للبخاري.
١٠٦ ـ مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة.

١٢٩ـ أنجع الوسائل في تربية النشئ تربية إسلامية لحسن البنا.
١٣٠ـ صفحات من حياة علاَّمة القصيم د/ عبد الله الطيَّار.
١٣١ـ الشيخ عبد الرحمن بن سعدى وجهوده لعبد الرزاق بن عبد المحسن العباد.
١٣٢ـ كتاب حكم شارب الدخان لعبد الرحمن السعدى.
١٣٣ـ سيرة الشيخ عبد الرحمن السعدى لمحمد حامد الفقي.
١٣٤ـ علماء نجد للبسام.
١٣٥ـ رسالة سفيان الثوري عبد الحليم محمود.
١٣٦ـ شعبة بن الحجاج لعبد الملك بكر القاضي.
١٣٧ـ الإمام الثوري حياته العلمية والعملية للبيانوني.
١٣٨ـ ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي للسديس.
١٣٩ـ نساء لها تاريخ لأم إسراء بنت عرفة بيومي.



فهرست الموضوعات





دار المعرفة
للطباعة والنشر

شارع البرجاوي - قرب قصر بلدية الغبيري
هاتف: 834301 - 834332 - 858830(01) فاكس: 835614(01)
ص.ب.: 7876 /11 بيروت - لبنان - البريد الإلكتروني e.mail: info@marefah.com
http://www.marefah.com

ISBN 9953-429-61-8
9789953429618